"وهوَ مَعرُوفٌ"

"مِن إشكاليّاتِ تَقنِيَةِ التَّعريفِ في المُعَجَمِ العَربِيِّ"

د. يس أبو الهيجاء

أستاذ اللغويات المشارك بكلية اللغة العربية

جامعة أم القرى

ورد البحث في ١٨/ ٤/ ١٤٣٥هـ وقُبل للنشر في ١٦/ ٥/ ١٤٣٥هـ

"وهو مَعروفٌ"
"مِن إشكاليّاتِ تَقنِيَةِ التَّعريفِ في المُعجَمِ العَربِيِّ"

د. يـس أبو الهيجاء

ملخص البحث

يَنهضُ هذا البحثُ المُعجميُّ بمُناقشةِ إشكاليةٍ من إشكاليّاتِ تَقنِيَةِ التّعريفِ في المُعجَمِ العربيِّ، ألا وهيَ عبارةُ المُعجميِّينَ "وهو مَعروفٌ"، بأنماطِها المُختلفَةِ. وهيَ تَقنيةٌ إحاليّةٌ، تَقومُ على فَرضيّةِ مَعرِفَةِ القارئ بمُحَدِّداتِ المَدخَلِ أو اللَّفظِ المَوصُوفِ بهذِهِ الصِّفَةِ، واختِزالِ المكَانِ والزّمانِ - فَضْلاً عَن البَشرِ - في شَرِيحَةٍ واحِدَةٍ. فهيَ مِن بابِ الإحالةِ إلى المَعرفةِ والثّقافَةِ. وهيَ -على هذا- إحالةٌ مخصوصةٌ، ولا تَندرجُ تحتَ التّعريفاتِ الموضُوعيةِ التي تَنتمي إلى مَناهج التّعريف العامةِ، كالتّعريف الاسميِّ أو المنطقيِّ أو البنيويِّ.

والبَحثُ يضعُ بين يديْ الباحثينَ في المُعجَمِ، والعاملينَ على تَطويرِهِ وتَنقيتِهِ صُورةً بَيّنةَ المَعالِمِ، لِحَقِيقَةِ استِخدامِ هذهِ التّقنيَةِ، يَنبغي ألا تَغيبَ عَمّن يَشتغلُ في هذه الجُهودِ، بَعيدًا من الظَنّ والتخمينِ.

والبحث يَقُومُ على المَنهجِ الوَصفِيِّ الإحصائِيِّ، وقد تتبّعَ هذه التقنيةَ في عشراتِ الآلافِ من المَداخلِ، وما يَتصلُ بها. من بداياتِ التأليفِ المُعجميّ إلى طائفةٍ مُمثِّلةٍ مِن جُهودِ المُعجميينَ المُحدثينَ في هذا المَيْدانِ، شاملاً كلَّ المَدارسِ المُعجميّةِ العَربيةِ، وقد حَفَلَ بالإحصاءاتِ والتّحليلاتِ التي تُجلّي هذه التقنيةَ عندَ القدماءِ والمُحدثينَ، مُبيّنًا اتجاهاتِها، وطرائِقَ المُعجميّينَ في استخدامِها، والأطُرَ المَنهجيَّةَ التي سَلكَها أولئكَ المُعجميّونَ في سبيلِ استِخدامِ هذه التقنيةِ.

وخلصَ البَحثُ إلى أنّ هذهِ التّقنِيةَ هَنةٌ مِن أبرزِ هَناتِ المُعجماتِ، في استِخدام تَقنياتِ التّعريفِ عندَ القدماءِ والمُحدثينَ.

وبعدُ، فالبحثُ يَدعُو إلى التّخلّصِ من هذهِ التّقنِيةِ ونَبذِها، ما لم تَستندْ إلى مُحدّداتِها الرئيسَةِ: الزَّمانِ، والمكانِ، والإنسانِ، فضلاً عن سائر المحدّدات، فالمَعروفُ وَصْفٌ لا يُمكِنُ أنْ يَكونَ مُنبتًّا من سِياقِهِ المَعرفيِّ القائمِ على الأقانيمِ المَذكورةِ، وغيرُ ذلكَ ضَربٌ من والالتباسِ والخلطِ، هو أبعدُ ما يكونُ مِن هدفِ المُعجَميِّ وغايتِه.

Research in Lixicon:
"It is known" and "Some of the controversies of the definition techniques in the Arabic lexicon"

ABSTRACT

This research aims at discussing one controversy of the definition techniques in the Arabic lexicon which is the almagamaan's (lexicologists) phrase "it is known" in its multi forms. This technique is a referential one supposing that the pre-knowledge reader of the reader of the determinants of the entry or its pronunciation ignoring place and time –and people- in one template. It is a matter of referral to knowledge and culture, They refer to this specific, And do not fall under the definitions objectivity that belong to the general curriculum definition, such as the definition of nominal or logical or structural

Also this research made it available to all those dealing with researches in the lexicon in terms of development and purification to see a crystal-clear picture of this technique usage on which nobody could ignore away from guessing or probability.

It is based on the descriptive statistical, and analyzes thoroughly ten thousands of lexicon entries and studied whatever related to them starting from early work in lexicon authoring and reaching to presenting a representative sample of the efforts of modern almagamaans in this field from different Arabic lexicoloical trends. Moreover, this research includes analysis and statistics in the aim of making this technique clearer to both modern and old lexicologists. That is to say that this research focuses on the trends and methodologies of the concerned people.

The research concluded that this technology is a major defect among others in lexicons in the use of definition technologies of both the modernist and the oldest.

Finally, this research recommends rejecting and getting rid of this technology unless it is based on its main determinants that is, people, time and place, in addition to other determinants like, sex, kind, interval. What is known is a description cannot be stemmed from its cognitive context based on above mentioned conditions, thus other than that it will be one form of ambiguity or typecast.

تَوطئة:

لئنْ كانَ الشعرُ ديوانَ العَرَبِ فإنّ المعجَماتِ ديوانُ العَرَبيّةِ، الذي أَودَعَـتْ فيـه مادّتَها، وَسَـجَّلت في ثَنايـاه بَلاغتَهـا وَتميّزهـا، وَفُنـونَ التّصـرّفِ في مَعـاني ألفاظِهـا، وَتَراكيبها.

على أنّ جلَّ الجهودِ اللّغويةِ بعامّة يمّمتْ شَطرَ النّحوِ؛ إذ شَكّل الحظَّ الأكبرَ من تلكَ الجهودِ، فتجلتْ فيه شتى فنونِهم العَقليّةِ، حتى غُيّبَ الكثيرُ ممّا عَداه بشكلٍ بيّنٍ، ولعلّ مِن أبرزِ هذهِ الجهودِ المغيّبةِ الجهدَ المُعجميَّ.

إنّ هذا البحثَ يقومُ على رَصْدِ جانِبٍ من الجهدِ المعجميِّ العربيّ، وتجليـةِ مـا وقعَ فيه من قصورٍ، في مَسألةٍ من أهمِّ المسائلِ المعجميَّةِ، وخَصِيصةٍ من أهمِّ خصائصِ هذا الجهدِ ألا وهيَ تَقنيةُ التّعريفِ. وإذا كـانَ لكـلِّ مُنصـفٍ أنْ يَـذكرَ تَجلّـةً وإكبـارًا جَهودَ علمائِنا المعجَميّة في ما قدَّموا وبذَلوا في هذا الميدانِ، فإنّ الحقَّ يَقتضي أنْ نـذكرَ أنّ تلكَ الجهودَ لا تَبرأُ من النقصِ، ويَعتورُها العديدُ من الهَناتِ، لا يخطئهـا القـارئُ. لأنها لم تقم - في الأغلبِ - على أسسٍ نظريةٍ واضحةٍ، إنْ تجاوزنا الشّكلَ.

إنّ أخصَّ تعريفٍ للمعجمِ وأكثرَه مباشرةً أنّه مادّةٌ مُرتّبة ومُعرَّفة، وهذا وصفٌ يحيطُ بالشكلِ والمضمونِ، وهو يَتكوّن من ثلاثةِ أقانيمَ: الجمـع والوضـع والتعريـف. ويمكننا بادئًا أن نقسم الصيغ الموضوعية التي ينتمي إليها التعريفُ المعجمـي بعامّـة إلى ثلاثٍ: لغويةٍ وتنتمي إلى المعجماتِ اللغويةِ، وموسـوعيةٍ مُسـهَبةٍ تعـالجُ الموضـوعاتِ العامّةَ، ومختصةٍ قائمةٍ على تَبيينِ المصطلحاتِ المعرفيّةِ. ونحن ههنا نتعلّقُ بالأولى منها، فهي البابُ الذي استقلَّ به الجهدُ المعجميُّ العربيّ القديم في جلِّ أوجهِ نشاطِهِ.

وتَخلُقُ الإشارةُ ههنا إلى السِّمةِ الموسوعيّةِ التي توشّحُ المعجماتِ اللغويّةَ القديمةَ، فقد كانت تلك المعجماتُ تنوءُ بدورِ الموسوعاتِ في زمن لم يكُن هذا النّمطُ من التأليفِ معروفًا. فالمعجمُ اللغويّ لا يهتمُّ –كما يُفترَض– بذكر أسماءِ الأعلامِ والأشخاصِ وتراجِمِهم وأسماءِ المدن والبلدانِ والأنهارِ والجبالِ والبحارِ وصفاتها، ولا بذكرِ الحروبِ والأيام والوقعاتِ[1]، وهذه السماتُ الموسوعيّةُ لا تخطئها العينُ في معجماتِنا القديمة، ممّا يضاعفُ الجهدَ في نقدِها، وتنقيتِها.

بادئ ذي بَدء فإنّ تعريفَ المدخلِ أو اللفظِ إنما هو رموزٌ منعكسةٌ تقرّبُ التصوّرَ اللغويَّ لتلكَ المفردَةِ المشبَعةِ بالمعاني. والتعريف – والمفهومات ههنا بعامّة – إشكاليةٌ كبيرةٌ بحدِّ ذاتِه، باعتبار المعجم دِيوانًا لأساسياتِ المعارفِ، وأداةً للتواصلِ والتوصيل، ولارتباطه بجلّ الدراساتِ الإنسانية والطبيعية[2]، أيًا كان المنهجُ الذي يقومُ عليه التعريفُ المعجميُّ[3].

والمعجماتُ بعامّةٍ تسعى بالدرجةِ الأولى إلى تحديدِ العلاقةِ بين الدالِّ والمدلول، بالعبارةِ الموجَزة، والألفاظ المُفهِمة. ويستعين المعجمي على ذلك بطاقةٍ من الوسائلِ التي تَسعى لتجليتِه كالشرحِ والتفسيرِ والتأويلِ؛ مما جعلَه مَسرحًا لتعاقبِ هذه المفهوماتِ، فتعريفُ المدخل المعجمي وما يتصل به إنما هو الوظيفة الرئيسة، والغرض الأبرز في المعجمات اللغوية.

وفي سبيلِ هذا فإنّ المعجماتِ تُبنى على كمٍّ كبيرٍ مِن التّقنياتِ، مختلفةِ الطرائقِ والمناهجِ؛ لأنها لا تسعى إلى تَرسيخِ مَنهجٍ مُعيّنٍ في تَبيينِ تَعريفِ الكلمَةِ بقدرِ ما تسعى إلى كشفها وتقريبها. والمعجميُّ يُسوِّغُ لنفسِهِ كُلَّ الإمكاناتِ لِتَحقِيقِ هذا الغَرَضِ، وَحشدِ كلِّ هذه التّقنياتِ لِتعريفِ مَداخلِهِ، وما يَتصلُ بها، واستِثمارِ ما استَطاعَ مِن أنواعِ العَلاقاتِ القائمة بَينَ الدّالِ والمدلُولِ[4]، فلا مَنهجَ إلا ما يَراهُ صالحًا لِعقدِ هذه العَلاقةِ بَينَه وبينَ القارِئ.

وأيًا كانَ المنهجُ الذي يَنهض به التعريفُ، اسميًّـا أم منطقيًّا أم بنيويًّـا، أم غـير ذلك، فإن البحث عن قاعدة محكمة للتعريف عسير. فليس ثمة قاعدةٌ، أو مجموعة من القواعد، لا بد من تطبيقها في كلّ تعريف، وتساؤل زكي نجيب محمود في صُلب هـذه الإشكاليّة إذ[٥]: "كيف يمكنُ أنْ تكونَ قاعدةٌ للتعريفِ، والأصـلُ فيـه أنْ يُصـبحَ معنـى الكلمةِ العِبارةِ أو الرّمزِ مَعروفًا لمن لم يَكُنْ يَعرفُه، فكلُّ طريقٍ وكلُّ أسلوبٍ من شـأنِه أنْ يُعرِّفَ معنى اللفظِ أو الرّمزِ لمن لا يَعرفُه، طريقَةٌ صَحيحةٌ وأسلوبٌ مقبولٌ". ومـن ههنا يَنجمُ الاختلافُ والخلافُ. وقد أفضى هذا - ممّا أفضى إليه- إلى إغفالِ المفهـومِ النظريِّ المثاليِّ للتعريفِ، فَتَصوّرَ هذا الإغفالُ في التّطبيقِ العَمليّ[٦].

وهذا كلُّه يُفضِي بالضّرورةِ إلى أنّ نقائصَ التّعريفِ وهَناتِه من الصّعوبةِ بمكـانٍ أنْ يخلوَ منها أيُّ مُعجَمٍ، وكَثيرًا ما يَغدو السّعيُ إلى تَوضيحِ المعنى وَتَقريبِهِ، غُموضًـا، وبُعدًا عن الهدَفِ المنشُودِ، وهي هَناتٌ متنوِّعةٌ، وتَنتمي إلى كَثيرٍ من الأصولِ المنهجيّةِ، التي يَتجاوزُها المعجميُّ، عن وعـيٍ، وعـن غـيرِ وعـيٍ، في تحديـدِه للمُعجَمـيِّ وغـيرِ المعجَميِّ، في هذه المسألةِ.

فلا مندوحةَ لمن يَتصدَّى للجُهدِ للمُعجميِّ مِن تنويعِ تقنياتِهِ، فالمنـاهجُ الرئيسـةُ المذكورة على اختلافِ أنواعِها وأشكالِها تَتكامـلُ في المعجَـمِ اللغـويِّ ولا تَتعـارضُ، فالطّبيعةُ المفرَداتيّةُ الواصِفَةُ للمُعجمِ تَتميزُ أصلاً بـالتنوّعِ والتّفـاوتِ، مِـن الحسـيِّ إلى المجردِ، ومِن الشّفافِ إلى المعتِمِ، ومِن المتمكنِ إلى البنائي..، وتَبعًا لـذلكَ تَظـلُّ مسـألةُ التّعريفِ شَكلاً قابلاً لكلِّ أنواعِ المناهجِ والوسائلِ. وهنا ينبغـي الفصـلُ بـين الإقـرارِ بِعدمِ وُجودِ مَنهجٍ مثاليٍّ لتقنيةِ التعريفِ، وفقدانِ الأسسِ المنهجيّةِ الموضـوعيّةِ في بنـاءِ هذه التّقنيةِ، بناءً يَستثمرُ كلَّ ما يمكنُ أنْ يُوضّحُها.

ولئنْ بدأَ التأليفُ المعجميُّ مُبكرًا فقد تأخّرَ الالتفاتُ إلى الوقوفِ على نقائصِ المعجماتِ، وخَللِها، وقوفًا مَنهجيًا شامِلاً[٧].

ولعلّ أبا الطيِّبِ الشّرقيّ الفاسِيّ(ت١٧٦٥م) من أوائلِ مَن دَرسَ هذه النقائصَ والعيوبَ، دراسةً فيها الكثيرُ مِن أَماراتِ المنهَجيّةِ في حاشيتِه على "القامُوس المحيط"، ثم تلاه طائفةٌ من العُلماءِ أبرزُهم بُطرس البستانيّ(ت١٨٨٣م) في: "نُقدِ المعجماتِ العربيّةِ، ثم أحمد فارس الشّدياق(ت١٨٨٧م) بمحاولةٍ أكثرَ استبصارًا، في "الجاسوس على القاموس"؛ إذ حَشدَ فيها طائفةً من هذه النقائصِ؛ كالتعريفِ الدَّوْري، وَتَفسيرِ اللفظِ بلازمِ مَعناه، وإيرادِ ألفاظٍ في التعريفِ مُبهمة، وتجاهلِ تَعريفِ بعضِ الألفاظِ، اتكالاً على الإحالة إلى المعجمات الأخرى[٨]، أو على ثَقافَة القارئ. ثم إبراهيم اليازجي(١٩٠٦م) في: "نقد لسان العرب"، فالأبّ أنستاس الكَرْمِليّ(١٩٤٧م) في: "أغلاطِ اللغويينَ الأقدمينَ".

وقد وقف الدكتور الجِيلاليّ في سِفره القيم "تقنيات التّعريفِ في المعجَماتِ العَرَبيّةِ المعاصِرَةِ" على طائفةٍ من أهمِّ النقائصِ التي تَعتري المعجَمَات من هذا البابِ، كالشّرحِ الدّوري، والغُموضِ والإبهام، والسّطحيةِ، وعَدم الانتظارِ، والقالبيّة أو المحدوديّة، والتعريفِ بغيرِ المعرّفِ في المعجم، والقصورِ، والإحالةِ المكرّرةِ، والتنافرِ وعدَمِ المناسبةِ[٩].

والحقُّ أنّ مَن يَنظرُ في مُعجماتِنا لا تخطئُ عينُه الكثيرَ ممّا ذُكر من هذه النقائص، وما يربو عليها. فقارئُ المعجم باحثٌ عن معنى، لا عن متعة أدبيّة أو إبداعية. وما يزال على سبب من المُعجم، حتى إذا وقفتْ به المعرفَةُ انقطعتْ به السُّبُل.

إنّ إشكاليّة تقنيةِ التّعريفِ الرئيسةِ مدارَ البحث هي "وهو معروف"، وهي نمطٌ من أنماطِ الإحالةِ، وليست تعريفًا حقيقيًّا، على أنّها لا تَنطوي تحتَ أيٍّ من تَقنياتِ

التّعريفِ الثلاثِ الرئيسةِ: الاسميّة أو المنطقيّة أو البنيويّة انطواءً مباشرًا، كما أنّها أيضًا تفارقُ الإحالةَ التي تندرجُ تحتَ تقنيةِ التعريفِ الاسميِّ بشقّيهِ[١٠]؛ الإملائي والـدلالي. فهي إحالة مَعرفيّة، أو بمعنى من المعاني ثقافيّة.

أمّا التعريف بـ" وهو معـروف " فيتبـوّأُ أكثـرَ التعريفـاتِ المقولبـةِ انتشـارًا لـدى القدماءِ، بل قد يَغدو مَسكوكةَ تعريفٍ تَقنيٍّةٍ، تُوشَّحُ بهـا الكـثيرُ مـن المـداخلِ، أو مـا يتصل بها. فهو ينداح خارج دائرة التعريف المعهود؛ ليشكل تعريفًا إحاليًّا، اتكاءً على مخزونٍ معرفيٍّ لجماعةٍ من الجماعاتِ في مكانٍ من الأمكنةِ، وزمانٍ مـن الأزمِنـة، وهـو على هذا رهنُ زمانٍ ومكانٍ، ومجموعةٍ بشريةٍ محـدودةٍ. وهنـا تَنعقـدُ الإشـكاليّةُ كمـا سَنرى، فانتقالُ المعرفةِ التي يَتصورُها المعجميُّ للمَدخلِ الذي يُعالجُه تَغـدو عَسـيرةً في كثيرٍ من الأحوالِ؛ لأنها حُكمٌ فقدَ شُروطَه، التي يَتعرّفُ بها؛ إمّا لاختلافِ الزّمـان أو المكان، وإمّا لكليهما، ومِن ثَمَّ البيئَة المفترَضة.

إنّ النظرَ إلى المعجمِ كقائمةٍ مِن الألفاظِ تَستخدمُها مجموعةٌ من البَشرِ في مَكـانٍ وزمانٍ معيّنينِ أصلُ كَثيرٍ من الإشكاليات المعجميّة، وربما يَعسُر حلّها، والخُلوصُ فيها إلى شيءٍ بيّن. فالغالبية العظمى من صنّاع المعجمات لا يتصورون في تَصانيفهم أنهـم يَكتبونَ لغيرِ زمانهم، أو لزمانٍ قريبٍ من زمانهم على الأكثرِ، ومَن يَقرأُ مُقدّمات تلك المعجماتِ، لا تفارقُه هذه الحقيقةُ. ولعلّ الكثيرَ من الهَنات في تلك المصـنّفات تَنكَفِـئُ إلى هذه العلّةِ. وتَزدادُ المسألةُ تعقيدًا عندَما يَعتمدُ اللاحِقونَ على الاستِنساخِ، دونَ تحقيقٍ.

والمعجماتُ العربيّةُ كَمثيلاتها تقومُ على المَلَكةِ المعجَميّة لمـتكلمِ اللغـةِ العربيّـة الفَصيحةِ، وهذا يَعني فيما يَعنيه تحديدَ من هـذا المـتكلم، ومـا محـدِّدات هـذه الملكـة؟ وأساسُها المحدّدات الزمانية والمكانية[١١]. ولا يمكن-في كثيرٍ من الحالاتِ- تجريدُ اللفـظِ من انتمائِه الموضوعيّ والدلاليّ، وتَعليقُه بثقافةِ القارئ ومَقدرتِه على الإحالَةِ.

ويجدرُ التوضيحُ ههنا أنّ هذا النّمطَ مِن التقنيةِ - مَحلَّ البحثِ- يَتحوّلُ ضِمنَ هذا المفهومِ إلى أساليبَ لغويةٍ مختلفةٍ أصلُها الجملةُ الاسميّةُ الصّريحة المبنيّةُ على الضّميرِ "وهو مَعروفٌ"، واسمُ الإشارة "وهذا مَعروف"، أو "وهذه معروفة". وقد يأتي بالكلمةِ الفَذَّة،، نحو:"الفَرسُ: معروف"، وإن كانت أقلَّ، على أننا يمكننا أنْ نأوّلَه، ونُلحقَه بالبابِ الواسعِ من التعريفِ بالجملةِ الاسميّةِ.

وقد يأتي بِصيغةِ التّثنيةِ على قِلّة، والجمعِ على نُدرَة، على ما سَنرى. وهذه هي الصِّيَغُ التي استَقلَّ بها هذا البحثُ. وقد يأتي بِصيغةِ الفعلِ المبنيِّ للمَجهول، نحوَ: ويُعرَفُ "وعُرِف"، وهذا قليل، ويَكفي أنْ نعلمَ مِن قلّته أنّنا لا نكادُ نقعُ عليه في "جَمهرة اللغة"، على كثرةِ ما جاء فيها من الصِّيَغِ المذكورَة، كما سَنرى.

أمّا منهج هذا البحث فَوَصفِيٌّ إحصائِيٌّ، وأمّا مَيدانُهُ فطائفةٌ مِن المعجَماتِ العربيّةِ القديمةِ والحديثَةِ، هي من أهمِّ المعجماتِ العربيّةِ منذُ نشأتِها، وتُظلِّلُ المدارسَ المعجميّةَ كافّةً. وقد تقصّيتُ من خلالها عشراتِ الآلافِ من المداخلِ، إلكترونيًّا ويَدويًّا، للكَشفِ عن طبيعَةِ وُجودِ هذهِ التّقنيةِ، التي تُعدُّ هنَةً بيّنةً مِن هَنَوات التعريفِ في المعجَماتِ العَربيّة. وقد اعتَمَدْتُ إلكترونيًّا على مَوسُوعَتين: الجامِعِ الكَبيرِ لِكُتُبِ التّراثِ العَربيِّ والإسلامِيِّ ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، والمكتَبَةِ الشّامِلَةِ، الإصدارِ الثاني.

أولاً: المعجمات القديمة:

أمّا المعجَمات القديمة فقد تخيّرتُ تِسعَةً مِنها، وهي على الموالاة:

"العَين" (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م)[١٢]، و"الجَمهَرة" لابن دريد (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م)[١٣]، و"تهذيب اللغة" لأبي منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ/ ٩٨١م)[١٤]، و"الصِّحاح" لإسماعيل بن حمّاد الجَوهريّ (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)[١٥]، و"المُحكَم" لابن سِيدة

(ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)[١٦]، و"أسـاس البَلاغـة" للزّمخشـري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م)[١٧]، و"لسان العرب" لابن منظور (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)[١٨]، و"القاموس المحيط" للفيروزآبـادي (ت٨١٧هـ/ ١٤١٥م)[١٩]، و"تاج العروس" للزَّبيديّ(ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)[٢٠].

إحصاء:

بعدَ البحثِ في عَشراتِ الآلافِ مِن المداخلِ في المعجمات المذكورةِ عن الصّـيغِ المشارِ إليها آنفًا من تَقنيةِ التعريفِ، بصُورِها المختَلفة، عَمدتُ إلى قِسمتِها(١٤)، أربعةَ عشرَ بابًا؛ تيسيرًا لحصرها، وبيانِ اتجاهاتها، وجعلتُ هذه الأبوابَ على نمطٍ مخصوصٍ بالبحثِ، لتستبينَ الفكرةُ التي أنشئَ من أجلها هذا البحثُ. ثم أحصيتُ بعدَ ذلـكَ مـا سميّته المُبهَماتِ، فجعلتُ لها بابًا، وهو مأخوذٌ مـن الأبـوابِ المـذكورةِ كافّـة، ولـيسَ قسيمَها؛ إذ هي كلُّ ما ذُكر في تلك المعجمات، من هذا النمط من التعريف، خِلوًا من التعليق، أو تحديدٍ لجنس أو نوع، أو فئة، أو أي محدِّد آخـر، وإنمـا أحيـل علـى ثقافـة القارئ، ومقدرته علـى اسـتبانته، إحالـةً تامَّـةً، وجلُّـه مـن التعريـف بالكلمـة الفَـذّة "معروف"، إذا صرفنا التأويل بالجملة. أمّا الأبواب فعلى النحو الآتي:

- الأعلام بمختلف صورها، سواء كانت علمًا لشخص أو قبيلة، أو مكان، أو حيوان أو غير ذلك.
- أسماء الحيوان وما في حكمها.
- أسماء النبات، وما ينتمي إليها.
- أسماء أعضاء الكائنات الحية، وما ينتمي إليها.
- المهن، والألقاب، والأوصاف، والرتب، والأعداد، والأوزان، والنقود.
- الأطعمة، والأشـربة، والزينـة، والألبسـة، والأدوات، والألعـاب، والعطـور ومـا ينتمي إليها.

- الأجناس، والقرابات، والصلات، وما ينتمي إليها.
- الأوضاع والحركات، والتصرفات، والأشياء الناتجة من الكائنات الحيّة.
- الطبيعيّات، وهي كل ما ينتمي إلى الطبيعة، كالمناخات والأجواء والعناصر، وما ينتمي إليها.
- المعتقدات والأديان، واللغات، والعلوم، وما ينتمي إليها.
- الأمراض والأدوية، وما ينتمي إليها، وما ينتج عنها.
- الأمكنة المحدودة، دون الأعلام: كالدار، والحديقة، والبستان...
- الأزمنة: كالأيام والأشهر، والفصول....
- أشتات من المحسوسات، والجوامد، والألوان، ممّا خرج عمّا ذُكر.

وقد جمعتُها في جَدولٍ، مُشيرًا إلى كلِّ بابٍ باختصارٍ، حَصرًا للمِساحةِ، وتَيسيرًا للموازنَةِ، وقد جاءَ الجدولُ على النّحوِ الآتي:

المعجم	العين	الجمهرة	التهذيب	الصحاح	المحكم	الأساس	اللسان	القاموس	التاج	المجموع
التكرار	١٧٣	١٠٨٥	٤٥٥	٢٠٧	٤٣٠	–	٩٧٧	٥١٢	٥٤١	٤٣٨٠
الأعلام....	٢١	٣١٥	١٤٦	١٧	٢٠٨	–	٣٨٣	١٨٤	٢٧٠	١٥٤٤
الحيوان...	١٢	٩٢	٣٣	١٣	٢٣	–	٦٢	٥٠	٣٣	٣١٨
النبات...	٢١	٩٢	٨٧	٣٨	٤٤	–	١٥٣	٩٠	٦٥	٥٩٠
الأعضاء...	١٨	٦٣	١٧	١١	٨	–	٢٢	١٠	١٠	١٥٩
المهن...	٧	٥٠	١١	٨	٢٠	–	٢٣	٤	١٢	١٣٥
الأطعمة...	١٠	٨٥	٦٨	٣٨	٥٠	–	١٣٧	٩٤	٧٤	٥٥٦
الأجناس...	١٤	١٠	١	٢	٩	–	١٢	٦	٧	٦١
الأوضاع...	١٥	١١١	٣٣	٢٥	١١	–	٥٢	١١	١٠	٢٦٨
الطبيعيات...	١	٢٠	١٦	١٢	١٣	–	٢٣	١٩	١٢	١١٦
المعتقدات...	–	١٣	١٠	٦	٩	–	١٣	٤	١٤	٦٩
الأمراض...	٤	٢٠	٩	٩	١٠	–	٣٥	٢٣	٢٠	١٣٠
الأمكنة...	٥	٢٧	٥	٥	٦	–	١٤	٥	٦	٧٣
الأزمنة...	١	٢٢	١١	٣	٥	–	١٢	٦	٢	٦٢
أشتات	٤٤	١٦٥	٨	٢٠	١٤	–	٣٦	٦	٦	٢٩٩
المبهمات	١١١	٤٩٠	١٤٧	١٢٥	٧٠	–	١٤٨	١٤١	٤٢	١٢٧٤

دِلالات:

لا بدَّ من وقفة على هذه الإحصائيات، تجلي كثيرًا من جوانبها. وبادئ ذي بَدء، لو نَظَمنا هذه الأرقامَ في منحنًى كاشفٍ، يجلّي حركةَ هذه التقنيةِ لتمثّلت على النحو الآتي:

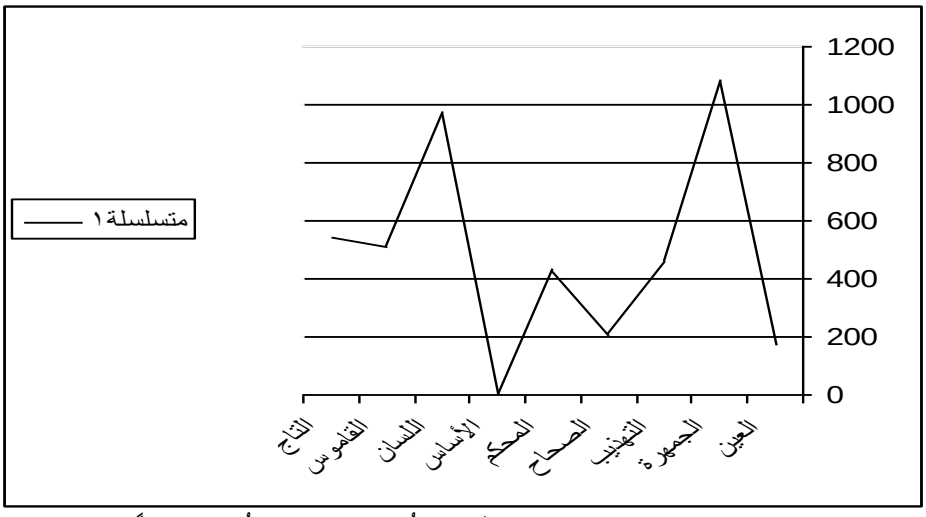

ولا يُعجِزُ الناظرَ أنْ يستبينَ عَشوائيّةَ هذا المُنحنى، وأنّه لا أُسسَ بيّنةً يَقومُ عليها، وعلى الأخَصِّ أنّ المعجميينَ لم يقفوا –كما سنعلمُ– على علّةِ استِخدام هذهِ التّقنيةِ.

وأوّلُ شيءٍ خليقٌ بالوقوفِ بعدَ ذلكَ إنما هو نِسَبُ ورودِ هذا النمطِ من التّعريفِ في المعجماتِ المذكورة؛ إذ بلغ على الموالاة الزمانيّة تقريبًا:العين٤%، الجمهرة٢٥%، التهذيب١٠%، الصحاح٥%، المحكم١٠%، الأساس٠%، اللسان٢٢%، القاموس١٢%، التاج١٢%. وعلى هذا فالجمهرة واللسان يكادان

يستأثران بنصف النسبة. ولعلّ المنهجَ الذي نهض به هذان المعجمان وراء هذه الكثرة الكاثرة من هذه التقنية.

أمّا الجمهَرةُ فقد أعلنَ ابن دُريدٍ في مستهلِّ كتابِه[٢١]:"وإنما أعرناه هذا الاسمَ لأنّا اخترنا له الجمهورَ من كلامِ العَربِ، وأرجأنا الوَحشيَّ المُستَنكرَ"، ويؤكدُ ذلك بقولِه[٢٢]: "على أنّا ألغينا المُستنكَرَ، واستَعملنا المعروفَ". وأمّا اللسانُ فموسوعةٌ ضَخمةٌ، قائمةٌ على النّقلِ، أعدّها مُصنّفها للعالِمِ، والناثرِ، والنّاظمِ، والمحدِّثِ، وعالم التفسيرِ، والفقيهِ..، فهو أوّلُ مُعجمٍ جامعٍ حَشَدَ فيه ابنُ منظور الكثيرَ من ألفاظ العلومِ ومصطلحاتِها. والذي يَستدعي النظر ههنا أنّ التّاجَ- بعد تجريدِه ممّا ليس منه- على ضخامته وامتدادِه لم تجاوزْ نسبتُه العُشرَ إلا قليلاً، ولعلّ وراءَ ذلك أنّ التاجَ يميلُ إلى التفصيلِ والشّرحِ على أصلِ وضعِهِ.

ومن الملحوظاتِ الجديرةِ بالوقوفِ خلوُّ "أساسِ البلاغةِ" من هذا النّمطِ من التعريفِ؛ إذ لم أقعْ فيه على أيةِ صورةٍ مِن الصّورِ المذكورةِ، وهذه مَنقبَة، تَنضافُ إلى مناقبِ "أساسِ البلاغَة"، من هذا الوجهِ. ولا غروَ؛ ذلك أنّ "أساس البلاغة" يَقصدُ إلى تَسجيلِ قوانينِ فصلِ الخطابِ، والكلامِ الفصيح[٢٣]، وتمييزِ الحقيقةِ من المجازِ، فهو أوّلُ مُعجم يهتمُّ اهتمامًا كبيرًا بالتوسعِ الدّلالي، ويُعنى بالتعبيرِ البليغِ، ويمكنُ القولُ بأنّ "أساسَ البَلاغةِ" مُعجم بلاغيٌّ، أو معجمٌ خاصٌّ، والبحثُ يؤكّدُ هذه الحقيقةَ، وما كانَ اختيارُه إلا لِرَصدِ هذا النمطِ من التقنيةِ فيه، وقد تصدّرَ منهجًا مُستقلاً، وبُنيَ على نمطٍ فريدٍ من التأليف.

وأمّا فيما تعلق بالمداخل وما يتصل بها فقد بلغت نسبة الأعلام في هذا النمط من التعريف؛ (١٥٤٤)؛ أي ما يقارب ٣٥% منها. وأعلى نسبة سُجّلت في التاج؛ إذ

بلغت ما يقارب٥٠%، ممّا ورد فيه. يليها المُحكم؛ إذ بلغت ما يقارب٤٨%. فاللسان٣٩%، فالقاموس٣٦%، فالتهذيب٣٢%، فالجمهرة٢٩%، فالعين٢١%، فالصحاح٨%.

وأمّا حقيقة هذه الأعلام فجلّها للمكان، إذ بلغتْ نسبتُها من مجموع الأعلام(١٠٥٠)؛ أي ما يقارب٦٨%. ويليها علم الشخص والقبيلة؛ إذ بلغ(٢٨٦)؛ أي ما يقارب١٩%، ويتقاسم سائرَها الأنماطُ الأخرى من الأعلام. وأعلى المعجماتِ نسبةً في ذلك "التهذيب"؛ إذ بلغتْ ما يُقارب٨٠% ممّا وَردَ فيه من هذه الأعلامِ، ويَليهِ "الجمهَرة"٧٦%، فـ"اللسان"٧٤%، فـ"الصحاح"٧١%، فـ"المحكم٦٤"%، فـ"التاج"٦٣%، فـ"القاموس"٤٦%، فـ"العين"١٢%.

وأمّا المداخلُ الأخرى فقد جاءتْ على الموالاة: النبات١٤%، الأطعمة١٣%، الحيوان٧%، الأشتات٧%، الأوضاع٦%، الأعضاء٤%، المهن٣%، الأمراض٣%، الطبيعيّات٣%، الأمكنة٢%، المعتقدات٢%، الأزمنة١%، الأجناس١%.

على أنّ أعلاها حقيقةً ما جاءَ في النباتِ والحيوانِ، لتجانُسِها؛ ذلك أنّ الأبوابَ الأخرى - العاليةَ نسبيًا- كالأطعمة والأشتات، والأوضاع، إنما هي مُتفرقات، وإنْ نَظَمَتْها صِلَةٌ، وقد جمعتُها لاستشعارِ تلك الصِّلةِ، حتى لا تتضخّمَ الأبوابُ، ويضيعَ الغرضُ من هذا الإحصاءِ، ولو فرقتها لدَقّت نسبتها. فإذا ضممنا هذا الثنائي، إلى ما رأينا من ارتفاع نسبة علم المكان، انتهينا إلى ثلاثيّ يمثّل قيمةَ هذه الأركانِ في حياةِ العربيِّ، واستشعارِه قُربها، ممّا سوّغَ لصنّاعِ المعجماتِ هذا النمطَ من التقنيةِ فيها. وفي مقابل ذلك نجدُ أنّ الشعورَ بغيابِ مفهومٍ محدّد، وفقرَ التعبيرِ عندَ المتكلمينَ، بمصطلحات ومفاهيمَ مخصوصةٍ، وراءَ قلّة هذا النمطِ من تقنيةِ التعريفِ في الأبوابِ الأخرى، باستثناءِ الأعضاء، وما ينتمي إليها المحدودةِ بطبيعتِها.

وأمّا فيما يتعلّق بالمبهمات فقد سَجّلتْ نَسبةً تقاربُ٢٩% من مجموعِ الواردِ في هذا النّمطِ من التعريفِ؛ أي نِسبة تقاربُ الثلثَ. وجاءتْ على الموالاة: العـين٦٤%، الصـحاح٦٠%، الجمهـرة ٤٥%، التهـذيب٣٢%، القـاموس٢٨%، المحكـم١٦%، واللسان١٥%، والتاج٨%. وأشدّ ما يَلفتُ النظرَ في هذه النسبِ النسبةُ الضـئيلةُ الـتي سجّلتْ في التاجِ، على امتدادِه واتساعِه، وكذا اللسانُ، في مقابلِ كثرتها في المعجمـاتِ المتقدِّمَة: كالعينِ، والصِّحاحِ، والجمهَرةِ، والتهذيبِ، حتى بلغتْ في هذه المعجماتِ مـا يقاربُ٦٩% ممّا جاء منها. ولئن دلَّ هذا على شيء فإنه يـدلّ علـى ثقـة صـناع تلـك المعجمات بالمخزون المعرفي لدى القراء، إبّان تأليفهم، يمكّنهم من الكشف عن معـاني تلك المداخل.

المعروفُ واللّغة:

لا جرمَ أنّ مَن يُعالج أيَّ جانبٍ من جوانبِ تَقنيةِ التّعريفِ محلَّ البَحـثِ لا بُـدَّ أنْ يَقفَ على علاقةِ اللّغَةِ بهذهِ التّقنيةِ؛ إذ يمثّلُ المعروفُ اللغويُّ في تراثنا صُلبَ ثقافـةِ التعريفِ، وإن اختلفت الألفاظُ في أدائهِ. ولا مَعدَى عـن الوقـوفِ عليـهِ وتمييـزهِ مـن المعروفِ الدلاليِّ، الذي يَسِمُ هذا العملَ. واسـتكمالاً لـدائرة البحـثِ فقـد تقصّـيتُ علاقةَ "المعروفِ" بمسألةِ اللغة في المعجمات المذكورة كلِّها، وخَلصت إلى ما يأتي:

أمّا "العين" وأساسُ البلاغة" فلم أقعْ فيهما على شـيءٍ مـن هـذه العَلاقـة. وأمّـا "الصِّحاح"فجاء فيه مرةً واحدة. وأمّا الستةُ الأخرى فقد وقفـت علـى (١٩٢) موطنًـا، تناولت علاقة هذه التقنية باللغة، فيغدو المجموع(١٩٣)، على النحو الموالي:

أمّا الجمهرةُ فقد بلغتْ المضـامينُ اللغويـةُ في الألفـاظ الـتي ورد فيهـا "المعـروف" (٩٣) مرّةً، أي ما يقاربُ النصـفَ مـن مجمـوعِ ورودهـا في سـائر المعجمـات. وهـي

بمجملها على ثلاثة أقسام؛ الأكبر ما عرّفه الأزهري بـ"عربيّ صحيح معروف" أو "عربيّ معروف"، وقد بلغ(٧٩)،نحو:الفَخّ، والحقّة، والخَزّ، والخَلّ، والدنّ، والرفّ[٢٤]، ويقصدُ منه نفيَ العُجمة عنه.

وأمّا القسم الثاني فما ذَكَرَ مَعرفةَ اللغةِ فيه من حيثُ استخدامُه، وقد بلغ(١١)، نحو: "شمال وشمأل وشمَل... لغة معروفة، و"القَصعَة، بفتحِ القافِ معروفة، والجُلّة لغة تميمية معروفة"[٢٥].

وأمّا الثالث فما قرن معرفته بالتعريب، وهو(٣)، الدانق: معروف معرّب، و"وطومار معروف على أنه معرّب"، وطرسوس بلد معروف معرّب".

أمّا التهذيب فقد بلغ من ذلك (١٦)، واحدة منه في نفي العُجمة، وهو:"سَهَجَ وهو من كلام العرب معروف"، واثنتان في التعريب، وهما: قال الليث: القزُّ كلمة معرّبة"، "والجصّ معروف، وهو من كلام العجم". وسائرها في أوجه استخدام الألفاظ، نحو: عَدبَ: أهمله الليث وهو معروف، و" وإمرأة علاّنة: جاهلة وهي معروفة، و"الرّصغ لغة في الرسغ معروفة"[٢٦].

وأمّا "الصحاح" فلم أقع فيه إلا على مرة واحدة، وهي في نفي العجمة:" وشيبُ السَوْطِ معروفٌ عربي صحيح"[٢٧].

وأمّا "المحكَم" فجاءَ منه (١١)، مرة واحدة في استخدام اللغة، وهي: رهنته وأرهنته معروفان، و(٧) في نفي العُجمة، نحو: الحُقّ: عربي معروف" و"الهليون نبت عربي معروف"، والكمون معروف عربي"[٢٨]. و(٧) في التعريب، وهي:اليسع معروف أعجمي" و"الطنبار معروف فارسي معرّب"، و" البُمّ من العود معروف أعجمي".

وأمّا اللسان فـ(١٣) مرة، منها (٧) في التعريب، "البخت: فارسي معرّب"، و" البَنْد: معروفٌ فارسي معرّب"، و"الكاغد: معروف فارسيّ مُعرّب"[٢٩]. و(٢) في نفي

العجمة، "الهليون عربي معـروف"، و"الجـلّ عربيـة معروفـة"، و(٤) في اسـتخدام اللغـة، وهي:"القيعون على بناء فيعول معروف"، و"امْضَرْب... فأبدل الـلام ميمًـا، وهـي لغـة معروفة"، و"العسل تذكيره لغة معروفة"، و"الوِتر والوَتر لغتان معروفتان".

أمّا القاموس المحيط فقد ورد فيه (٢٥) مرّة، واحدة، وهي "العَفـص"، قـال فيـه: معروف، مولّد أو عربيّ" وسائرها في التعريب، نحو:" اليَشَب: حجـر معـروف معـرّب"، وكذا "الياقوت"، والفوتنج، والمرداسنج، والنارنج"[٣٠].

وأمّا التاج فقد جـاء فيـه (٣٤) مـرة، منهـا (٧) في نفـي العُجمـة، نحو:"الـدُّبّ معروف عربية صحيحة" و"اللّوز ثمر عربيّ معروف"و "الكزبرة عربية معروفة"[٣١]. و(١١) في اللغة، نحو: "سَففتُ الخوص بغير ألـف عربيـة معروفـة" و"الأصـيلة لغـة معروفـة في الأصيل" و"أزَم الحبل، والراء فيه لغة معروفة"[٣٢]. وسائرها في التعريـب، نحـو: اليـاقوت معروف فارسي، و"سُكَّر معرّب شَكَر"، و"الطّنبار معروف فارسي"[٣٣].

وإذا ما وَقفنا على دِلالاتِ هذه النتـائجِ أمكَننـا أنْ نقـولَ بـادئينَ إنّ التعريـفَ اللغويَّ يمثّلُ قلّةً ظاهرةً في مقابلِ التعريفِ الدّلاليّ، وهذا يَتوافقُ معَ الغايـةِ مـن بنـاءِ تلكَ المعجماتِ. أمّا في نِسَبِ وجودِ هذه الظاهرة التّقنيةِ فنجدُ أنّ خلوَّ المعجماتِ، أو قلّةَ استخدامِ "المعروف" في المضامينِ اللغويةِ فيها عائدٌ لِطبيعةِ إنشائِها، وتَخصيصِ هـذا النّمطِ من التّقنيةِ بالدّلالة.

فـأساسُ البلاغةِ" كما ذُكِرَ ليس من همّه هذا الجانب، وقـد لَـزِم منهجـه. وأمّـا "العينُ" فالخليل تكلّمَ على المعرّب والتعريب-وإن كان قليلاً- على أنه لم يستخدم فيهـا صفة المعرفة في هذا الزمن المبكّر، وبالرغم من أنّه أشارَ إلى اللغاتِ كـثيرًا فلـم يَقرنهـا بالمعرفة أيضًا. وكذا "الصِّحاح" فقد تجنّبَ صفة "المعرفة"، وإن كانَ ذكر المعرّبَ والتعريبَ واللغات. وأمّا الكثرة النسبيّة لـ "العربي الصحيح المعروف" في "الجمهرة" فليست ببعيـدة

من تأثير ظاهرة الشعوبية، التي استحكَمَت في القرنِ الثالثِ، وصوّرَها الجاحظُ أحسنَ تصويرٍ.

في المنهج:

ولعلّ السؤالَ الذي يَستدعيهِ الناظرُ في هـذهِ الإحصـاءاتِ، هـل أشـارَ أولئـك المعجميّونَ إلى مَلمحٍ مَنهجيٍّ، بنَوا عليه هذه التقنيةَ من التعريفِ، تَبدّى من خلال هذا المسح الواسع؟ والإجابةُ أنّ أحدًا من المعجميينَ الذين وَقفتُ البحثَ على عَملـهم لم يُشِرْ إلى مَنهجٍ، أو ملحوظةٍ تُفضي إلى مَنهجٍ، ما خـلا وَقفـاتٍ قليلـةٍ فَريـدةٍ، وقعـتُ عليها عند الزَّبيـديّ في التـاج، مُعلّقًـا علـى "معـروف" الفيروزآبـادي، ظاهرُهـا يُـوحي بالمنهجيّة، غيرَ أنها لا تستندُ إلى أساسٍ، ولا إلى مَذهبٍ، في هذا الشأنِ.

وهي خمسةُ نصوصٍ؛ اثنانِ منها يَتعلّقان بتحقيق الأعلام، إذ يقول:[٣٤]: (بَهْـدَى كسَكْرَى)، أَهمله الجوهريّ وقال الصاغانيّ: هو(ابن سعْد بن الحارث بن ثَعْلَبَـة) بـن الحارث بنِ دُودانَ بنِ أَسَدٍ. (م)، أَي معروف. قلت: وفيه نَظرٌ. وقوله[٣٥]: (محمـدُ بـنُ المُهَنَّى بنِ الباتِنِّيِّ)، هكذا هو بموحَّدَةٍ قبْلَ الألِـفِ و (بكسْـرِ التَّـاءِ) الفَوْقيَّـة،(والنّـونِ المُشـدَّدَةِ) المكْسُـورَةِ: (م) مَعْـروفٌ بـينَ المُحـدِّثِين، وفيـه نَظَـرٌ". أمّـا الثلاثـة الأخـرى فقوله:"[٣٦]: ومِجْدَافَةُ السَّفِينَةِ: م معروفَـةٌ، هكـذا النُّسَـخ، والأَوْلَـى مِجْـدَافُ، وقولـه: معروفٌ، فيه نَظَرٌ، وكان الأَوْلَى أَن يقولَ: مِجْدَافُ السَّفِينَةِ ما يُدْفَعُ بها، أو ما أَشْبَهَه، أَو إِحَالَتُه علَى الدَّال. وقوله[٣٧]:(و) نامِيَةُ: (ماءَةٌ م) مَعْروفَةٌ. قُلْتُ: هي مِـن مِيـاهِ بَـني جَعْفرِ بنِ كِلابٍ، ولهُم جِبالٌ يقالُ لها جِبالُ النامِيَةِ، كما نقلَـهُ يـاقوتُ. ومِثْـلُ هـذا لا يقالُ فيه مَعْروفٌ، فتأَمَّل. وقوله[٣٨]: (و) السَّعَد، (بالتحريك)، وبخطّ الصاغانيِّ: بالفتح (وأَجمَةٌ م) معروفة، وفي قوله: معروفة، نَظرٌ. وقوله:[٣٩] الكَلْبُ عَلَى هذا النَّوْعِ النَّـابِحِ.

قال شيخُنا بل صار حقيقةً لُغَوِيّة فيه، لا تَحْتَمِلُ غيرَهُ، ولذالك قال الجوهريّ، وغيرُه: هو معروفٌ، ولم يحتاجُوا لتعريفه، لشُهْرته".

وكلُّ هذا من المواضعِ النادرةِ التي قُلِّبَ فيها النظرُ فيما يُعـرَّفُ، وهـي لا تخلـو من الدهشةِ والعَجبِ، فقد حَشدَ الزَّبيديّ نفسُه العشراتِ، بـل المئـات، ممّـا يسـتدعي الوقوفَ والنظرَ، فلم يَربعْ عليه، ولم يَلوِ منه على شيء، وسَوّغَه على ما فيه، ثم نجدُه يتأملُ هذه المواضعَ، ويقلّبُ النظرَ في نعتِها بالمعروفَة، ولا يُعقّبُ. وكأنّنا به قد اسـتَبانَ عندَه - فيما عَرّفَ - مَنهجَ "المعرُوفِ" و"المنكرِ"، وتنادَّتْ عنه هذه المواضعُ. وأمّـا مسـألةُ الشّهرةِ، فهو نفسُه لم يَلتزمْها، لأنها مسألة نسبيّة، والأصل في المعجم أن يكون مرجعًا يُعنى بموضّحات مداخله، لا تابعًا.

ملامح منهجية:

سَلّمنا أنْ ليسَ ثمةَ مَنهجٌ يَقومُ عليهِ هذا النّمطُ من التّعريفِ، تَسليمًا ناجمًا مـن طبيعة التقنية التي يَنتمي إليها التعريفِ. فالنقدُ في هذا الميدانِ قائمٌ على أسسٍ بناء هذه التقنية، لا على فَقْدِ المنهجِ فيها. وقد رأينا أنّ المعجميّين القدماءَ- محلَّ البحث- لم تَبدُ منهم أية إشارةٍ إلى ذلك. على أن هناك معـالمَ يمكـنُ أن تُسـجّلَ ضِـمنَ الملامـحِ الـتي نَهجها أولئكَ المعجميونَ في تأطيرِ هذا النمطِ من التعريـف عنـدهم، وَرصـد الاتجـاه العام الذي سلكوه، في سبيل استخدامهم لهذه التقنية، وقد وقفت من ذلك على ستةِ مَعالم:

الأوّل: المعرفةُ القائمةُ على الشّكّ:

ولعل أبرز هذه المعالم، بل المفارقات، أنّ المعروف، لا يُزري بـه أن يكـون محـلاً للشك، ولننظر طائفة مـن الأمثلـة علـى ذلـك. إذ جـاء في العـين[٤٠]: "تِعْشـار موضـع

معروف يُقَالُ: بنجد ويُقَالُ: لبني تميم"، فمن أين جاءته المعرفة؟ وجاء في الجمهرة لابن دريد في "زمن الخُنان"[٤١]:" زمن معروف عند العرب قد ذكروه في أشعارهم، ولم أسمع له من علمائنا تفسيرًا شافياً". فمع كل هذا العُرف، يذكر ابن دريد الخلاف فيه، وعدم تحقيقه. ومن ذلك عنده أيضًا[٤٢]:":" تَرْتَرْتُ الشيءَ من يدي، إذا بَدَرْتَه. والتَّرثار: نهر أو واد معروف"، وأين الوادي من النهر؟ ومثل ذلك[٤٣]: "وموقوع: موضعٌ معروف أو ماء معروف". ومثله[٤٤]:" والسَّبَلَة، سَبَلَة الرجل: معروفةٌ، فمن العرب من يجعلها طرفَ اللحيةِ فيقولونَ: رجل أسْبَلُ وسَبَلاني، إذا كانَ طويلَ اللحيةِ، ومنهم من يجعل السَّبَلَةَ ما أسْبَلَ من شَعر الشاربِ في اللّحيةِ. ومثله[٤٥]:"والقَسُوميّات: موضعٌ، زعموا، مَعروفٌ"، ومثلُه أيضًا في اللسان[٤٦]:" وغُمْدانُ قُبَّةُ سَيْفِ بن ذي يَزِن، وقيل قصرٌ معروفٌ باليمنِ. ومنه[٤٧]:" وبَدَّرُ موضعٌ، وقيلَ ماء معروف". وكأنّنا بالمعروفِ في كلِّ هذا يعادلُ، كثرةَ التّداولِ اللغويّ، ولا يَرتبطُ بالمعرفَة الحقيقيّةِ، وهذا النمطُ من الشّكِ ليسَ عارضًا، بل كثيرٌ، لا تخطئُه عينُ القارئ[٤٨].

الثاني: إسنادُ المعرفَةِ:

وهذه مفارقة منهجية أخرى بيّنةٌ، تستدعي التأمّلَ في هذا النمطِ من التقنيةِ، تفضي إلى شيءٍ من هذه المعالم، وهي ظاهرةٌ أكثر ما بانت في "التهذيب"؛ إذ يَقرِن معرفة المدخل، أو ما يتصل به، بـ"الليث"[٤٩]، ولا ندري كيف سوّغَ الأزهريّ أن ينقل هذه المعروفات، وكأن الليث استأثر بعلمها، وقد جاءت في عشرات المواضع، نحو[٥٠]:" قال الليث: الحَسَدُ معروف "، ومن ذلك أيضًا، وهو كثير: الفحش، والحطب، والحوض، والحوت، وحراء، الهليلج، الهيرون، الصخَب، والفخّار، والنَّفخِ، والقِرد، والقَتْل، والقِرفَة، والقُفل، القَمْل، والسَّقْي، والقيْد، والزِّندِيق[٥١].... وهذه ظاهرة لا يكاد يخلو منها معجم، على أنّ الأزهريَّ أكثرَ منها كثرةً لافتةً.

الثالث: إفرادُ المعروفِ:

ومن هذه المعالم أيضًا، غلبةُ الإفرادِ على وصفِ "المعروفِ"، وقد ظهرَت فيه التثنيةُ على قلّة، إذ جاءت في ستةِ مُعجمات[٥٢]. وبلغ ما جاء منها(٦٦) مرة، جلها في المكان؛ إذ بلغت ما يقارب ٦٠%، نحو: الدانان جبلان معروفان[٥٣]، والمشرق والمغرب[٥٤]، والوحيدان ماءان[٥٥]، و"الخوّان واديان[٥٦]، و"وعانِدانِ واديان معروفان"[٥٧]، و" الرسُّ والرّسِيسُ ماءان"[٥٨]، أمّا فيما يخصُّ الاستعمالَ اللغويَّ فبلغَ ما يقاربُ ٢٠% نحو: والقِنَّبُ والقُنَّب عربيان معروفان"[٥٩]، و"السُّقْم والسَّقَم واحد، معروفان"[٦٠]، و"ثَاخَ وسَاخَ معروفان"[٦١]، و" وأَثابَه وأَعطاه الأَجْرَ، والوَجْهَانِ مَعْرُوفان لجميعِ اللُّغَوِيِّين"[٦٢]، و" ويحفظ: الضَّمُّ والكسْرُ في الصُّوانِ مَعْرُوفانِ"[٦٣].

وسائرها من المتفرقات، نحوَ: "البَغل والبَغلة معروفان[٦٤]، و" والطير والطائر"[٦٥] و" وَمنْكبا الإنسان"[٦٦]، وابنا عِيان قِدحان[٦٧]" وابنُ مُرٍّ وابنُ سِنْبِس صائدانِ مَعْروفانِ"[٦٨]، و" النَّسْران: كوكَبانِ في السَّماء"[٦٩]، و" وَابْنَا هُجَيْمَةَ، كَجُهَيْنَةَ: فَارِسَانِ معروفَانِ"[٧٠].

أَمّا صيغةَ الجمع، فقد بدت مرة واحدة في الصِّحاح؛ إذ جاء فيه[٧١]: "والمُحادثة، والتَّحدُّث، والتّحادُث، والتَّحديث معروفاتٌ"، وقد ردّدها ابن منظور في "اللسان"[٧٢]، والزَّبيدي في "التاج"[٧٣].

الرابع: استِنساخُ المعرفَةِ:

ومنها استنساخُ أو انتقالُ الوصفِ بـ"المعروفِ"، إذ بادئًا ثمة اتجاه في كلِّ المعجمات القديمة تقريبًا على تجنّب الألفاظِ المحظورةِ، أو ما يسمّى "بالتابو"، وهي الألفاظُ التي يتجنبُ المعجميُّ الخوضَ فيها حرَجًا، فيلقيها ولا يُعقّب. ولا يفوتُ القارئَ في ما وراء ذلك أنْ يلحظَ النقلَ في المعجماتِ المتأخّرةِ على وَجهِ الخصوصِ، فنَجدُ الكثيرَ من المعروفِ بقِي معروفًا، على طولِ الأمَد، وتحوّلِ البيئةِ، وتنوّعِ القرّاءِ.

على أنني تَنكبتُ المعجماتِ المتأخّرة، وتخيّرتُ لدراسةِ هذه الظاهرةِ ثلاثةَ معجماتٍ تنتمي إلى عصرٍ واحد تقريبًا، هو القرنُ الرابع الهجري، بل تشكّل فوق ذلك ما يقارب نصف النسبة الواردة من هذا النمط من التعريف في المعجمات كلّها، وهي: الجمهرة، والتهذيب، والصِّحاح، وجعلتُ "التهذيبَ" نقطةَ الارتكازِ؛ لقياسِ صفةِ "المعرفة" في عصرٍ واحدٍ تقريبًا.

وقد سجّلتُ عندَ الأزهريّ ما يقارب (٨٥) مرةً، كرّر فيها معروفَ ابن دُريد، بينما لم يسجل الجوهريّ أكثر من(١٥) مرة، ممّا ذكره الأزهري. وهذا يؤكّد المنهجَ المتميّزَ عندَ الجوهريّ. وإذا صوّرنا الأرقامَ نسبةً، وجدنا أن الأزهريّ لم يكرر من معروف ابن دريد أكثر من ١٩% على وجه التقريب ممّا جاء فيه من هذا النمط من التعريف. أمّا الجوهري، فلم يكرر ممّا جاء عند الأزهري أكثر من ٧%، ممّا ورد فيه. وإذا وازنّا ما ورد في التهذيب من هذا، إلى النسبة الكلية ممّا ورد عند ابن دريد في الجمهرة، وجدنا النسبة في التهذيب لا تتعدى ٨% منه. وفي الصحاح تقارب ٣% من النسبة الكلية في التهذيب. وأمّا نسبة ما ورد في الصحاح ممّا ورد في الجمهرة فلا تكاد تذكر. وهذا يؤكّد عشوائية استخدام هذه التقنية، في الاتفاق على "المعروف"، كرّة أخرى، حينما نتكلم على عصر واحد يُظِلُّ أولئكَ المعجَميين تقريبًا، بعيدًا من النقل، الذي استحرَّ عند المتأخّرين.

الخامس: دَعائِمُ تَقنِيةِ المعرفَةِ:

من النادرِ أنْ نقعَ على توضيحٍ للمعروفِ من حيثُ وجودُ دعائمِ المعرفةِ الثلاث الرئيسةِ في هذا البابِ من التّقنيةِ، وهي الزمان والمكان والإنسان، على أننا لا نعدمُ تحديدَ المكانِ في نصوصٍ قليلة ذَكرها الأزهريُّ، ونقَلها بعضُ الخالِفين، ومن

ذلك[٧٤]:" الذهب مكيال معروف في اليمن"، وقوله[٧٥]:" وقال أبو عبيد: سألت الأصمعي عن الكِظَامةِ وغيرَه من أهل العلم فقالوا: هي آبـار تُخْفَـرُ ويُباعَـدُ مـا بينهـا... فهـذا معروفٌ عند أهل الحجاز".وقوله[٧٦]:" وبُسْرٌ موكّتٌ، وهذا معروفٌ عند أصحاب النخيل في القُرَى العربيَّة. ومنه[٧٧]: " قال أبو عبيدٍ في قوله: قُلّتين: يعـني هـذه الحِبَـابَ العِظـامَ واحدتها قُلّة، وهي معروفةٌ بالحجاز". وقول الزّبيدي:" والعَمْرُ نَخْلُ السُّـكَّر، يقـال لـه العَمْرُ، وهو معروفٌ عند أَهْلِ البَحْرَيْنِ". ولا شكّ في أنّ المكانَ ههنا يُفضي إلى طائِفَـةٍ من الناس، على أنّه مكانٌ فضفاض، يستدعي طائفة فضفاضة، فضلاً عن تحديد الزمن.

السادس: المعروفُ والمنكَرُ:

لا يمكنُ – في ختامِ هذهِ المعالِمِ – الكلامِ على المعروفِ في المعجمـات المـذكورةِ دونَ أنْ يستدعيَ الوقوف على ما وسَمه المعجميّون بـ"غير معـروف" أو المنكـر، حتـى تكتمل الصورة. فـ"غير المعروف" بادئًا معادلٌ للمعروفِ، شـكلاً ومضـمونًا. علـى أنـه عند التحقيق لا يستوي حالُه على هذا؛ أمّـا الـورودُ فلـم يُسـجّلْ في كـلِّ المعجمـاتِ المذكورةِ أكثر من (١٣٩) مرةً، في أربعةِ معجماتٍ، هي علـى المـوالاة مـعَ تكرارِهـا: التهـذيبِ(٥)، والمحكَـم(١٨)، واللسـان(٣١) والتـاجِ(٨٥)؛ أي أنّ مـا وردَ في "التـاجِ" وحدَه يُعادِلُ ٦١% منها. هذا من حيثُ الكَمّ، فأيُّ شَيءٍ هو "غيرُ المعـروفِ" أو المنكـرُ هذا؟

لقد أحصيتُ من غير المعروفِ(١٢٨) في اللغة[٧٨]؛ أي مايعـادلُ٨٧% ممّـا وردَ منه. سواء في ذلك الضبطُ، أم الاشتقاقُ، أم التذكيرُ والتأنيـثُ، أم الاسـتعمالُ. و(٥) في النحو[٧٩]، و(٢) في العـروض[٨٠]، و(٣) في نسـبة الشـعر[٨١]، و(١) في تحديـد جـنس علم[٨٢]. وعلى هذا فمضمون "غير المعروفِ" هو مضـمونٌ لغـويٌّ في معظمِـه، ويختلـفُ

اختلافًا بيّنا عن استخدام تقنية المعروف في المعجماتِ المعنيّة، وهذا يؤكّدُ اتفاقَ أولئك المعجميينَ ضمنًا، على استقلالِ المعروفِ بالدلالة.

نماذج من مُشكلِ"المعروف":

ولا بدّ في هذا البحثِ من الوقوفِ على نماذجِ قليلة من المنعوت بالمعرفة، المتناقَل في المعجماتِ، على إشكالِه؛ ليستبينَ لنا جانبٌ من حقيقةِ تقاذفِ هذه الصفةِ دون تحقيقٍ، في طائفةٍ من المعروفاتِ. ولعلّ أوّلَ وأبرزَ مثالٍ على هذا، لفظُ، بل مصطلحُ "المطارحَةِ"، الذي كانَ وراءَ نشوء هذه البحثِ، ولفْتِ النظر إلى هذه الإشكاليةِ[٨٣].

إذ تعدُّ المطارحةُ من المصطلحاتِ المجهولةِ، التي تقلّبتْ في تاريخِ العربيّة مُجلّلةً بالمعاني، دونَ أنْ يرصدُها أحدٌ رصدًا شافيًا. وإنْ وقفَ المعجميّون عليها وقفة هي إلى الغموض أقرب منها إلى البيان.

ولعلّ من أوائلِ المصنّفاتِ المعجميّةِ التي نقع فيها على ذكرٍ للمطارَحةِ "جَواهِرِ الألفاظِ" لِقُدامةَ بنِ جَعفرٍ الكاتبِ (ت٣٣٧هـ)؛ إذ ذَكَرَ بابًا من أَبوابِ "المخاصَمَةِ والمشَاقَّةِ"[٨٤]، جاءَ فِيهِ:"ما زالَ يُطارِحُهُ الكَلامَ وَيُراجِمُهُ أشَدَّ مِن وَخْزِ السِّهامِ وَوَقْعِ الحُسامِ". وبادٍ ههنا سلوكُها في الخصام. ثم يقف الزمخشري عليه وقفة أشد غموضًا[٨٥]: "وطارحتُهُ العلمَ والغِناءَ وتَطارَحناهُ"، فيقرن فيها العلم بالغناء، دونَ تعليق.

ثم يسجّلُ الجوهريّ عبارتَه المنبتّة[٨٦]:" ومُطارَحَةُ الكَلامِ مَعروفٌ". ولا يشرح من أي جهة جاءته المعرفة؟ وقد نقلها الرازي (ت٦٦٦هـ) في "مختار الصحاح"، ثم زاد:" المُطارَحةُ إلقاءُ القَومِ المسائلَ بَعضِهم على بَعضٍ"؛ دون أن يتنبه إلى أن العبارة تقوم على تعريف" مطارحة الكلام"، لا المسائل.

ثم يغدو "المعروف" أيقونةً عندَ المعجميينَ، يَتقاذفونَه دونَ أنْ يَقفوا عليه، فينَقلُها بِنَصِّها نَشوانُ الحِمْيريُّ (ت٥٧٣هـ) في "شمَسِ العُلومِ"[٨٧]. وكذا ابنُ مَنظورٍ في "اللّسانِ"[٨٨]، والفَيروزُآبادِي في "القاموسِ"[٨٩]. وزاد الزَّبيديُّ في "التاجِ" ما ذكره الرازي[٩٠]. وكلهم ناقلٌ، دون أن يحققها أحد منهم تحقيقًا شافيًا. أمّا المعجمات الحديثة، فقد جاءت فيها بما لم تُسبق[٩١]، فضلاً عن وجوه استخدام المحدثين لها.

وثاني المعروفِ من هذا البابِ هو "زمن الخُنان"، وأوّل ما جاءَ ذِكرُه في العين[٩٢]: "والخُنانُ: داءٌ يأخُذ الطَّيْرَ في حُلوقها... والخُنانُ في الإبِلِ كالزُّكامِ في النّاسِ". ثم جاء ابن دُريد في الجمهرة فقال:"[٩٣]: وزمن الخُنَان: زمن معروف عند العرب قد ذكروه في أشعارهم، ولم أسمع له من علمائنا تفسيراً شافياً". وأكد الجوهريّ في الصحاح ما جاء في العين[٩٤]. وكرّر ابن سِيدة ما قاله ابن دريد، وزاد[٩٥]:" والخُنَانُ في الإبل، كالزكام في الناس. وعلى هذا فالخنان داءان لا داء واحد. ثم نجد ابن سيدةَ نفسَه في المخصّصِ يُضيفُ إليه ثالثًا[٩٦]، فيزيد: " والخُنَان داءٌ يأخذ في العَيْنين". أمّا ابن منظور فقد حشدَ كلَّ هذه الأقوالِ[٩٧]. ثم جاءَ الفيروزُ من بعد ذلك، ليذكر أنه كانَ في عَهْدِ المُنْذِرِ بنِ ماءِ السماءِ ومائَتِ الإبِلُ منه[٩٨]. وذكره الزَّبيدي، وكرّر ما قاله ابن دريد، والفيروز. وجعل منه تقويمًا يُؤرِّخ العرب به؛ إذ يقول[٩٩]:" وهو مَعْروفٌ عنْدَ العَرَبِ، وقد ذَكَرُوه في أشْعارِهِم، قالَ النَّابِغَةُ الجعديُّ:

فَمْنَ يَحْرِصْ على كِبَرِي فإني من الشُّبَّانِ أَيّامَ الخُنَان

قالَ الأَصْمعيُّ: كانَ الخُنانُ داءً يأْخُذُ الإِبِلَ في مَناخِرِها، وتموتُ منه، فصارَ ذلكَ تاريخاً لهم". ولم يذكروا بيتًا آخر يؤكد هذا الزعم. وقال الصُّولي[١٠٠]: وأرخت العرب بعام الخنان لأنهم تماوتوا فيه، وعظم عندهم أمره". ولم يزد على بيت النابغة. وكذا صنع المرزوقي(ت٤٢١هـ) في الأمالي[١٠١].

ومن عجبٍ أنّ نقعَ على نصٍّ لأبي الفرجِ(ت٣٥٦هـ) ينقضُ ذلك كلَّه؛ إذ جاء فيه[١٠٢]: " سُئلَ محمدُ بن حبيب عن أيامِ الخنانِ ما هي؟ فقالَ: وقعةٌ لهم. فقالَ قائلٌ منهم، وقد لَقُوا عدوَّهم: "خُنّوهم بالرّماح"، فسمّي ذلك العامُ الخنانَ". وقال أبو الحسن المسعوديّ(٣٤٦ هـ)[١٠٣]: " وأرّخوا بعام الخُنان، وهو عام شَمِل أكثر الناس فيه الخُنان". وقال أبو هلال(ت٣٩٥هـ)[١٠٤]: "وعادة الناس أن يؤرخوا بالشيءِ المشهورِ، والأمرِ العظيمِ المذكورِ، أرّخ بعض العرب بعام الخنان لشهرته بتماوتهم فيه".

وقد نقضَ كلَّ هذا الصاحبُ بن عبّادِ(ت٣٨٥هـ)، والمرزوقيّ، إذ قالا[١٠٥]: ونحن في خُنانٍ من العيشِ، وسنة مُخِنّة أي مُخصِبة". ويُردفُ المرزوقيّ:" وهذا الذي فسّرناه أخيرًا يَصلحُ أن يصرفَ زمنَ الخنانِ إلى الخيرِ والسّعَة أيضًا، إلا أنّ ما أنشدَه الأصمعيّ ورواه يَدلُّ على خِلافه".

وبعدُ، فأينَ وصفُ "المعروفِ" لهذا الزمنِ الغامضِ، الذي بُنيَ على بيتٍ من الشّعرِ، مِن كلِّ هذا الاضطرابِ؟! وهل يَجوزُ أنْ يَتوشَّح بالمعرفَة بعدَ ذلك؟

وأمّا النموذجُ الثالثُ فيتعلّقُ بالمكانِ، ونقِفُ فيهِ على "المَواشِلِ والمَغاسِلِ".

جاء في الجمهرة: " والمَواشل: مواضعُ تقربُ من اليمامةِ لا أدري ما صحّتها؛ فأما المَغاسلُ فمواضعٌ هناكَ معروفةٌ، قد جاءتْ في الشعرِ الفصيحِ". ثم جاءَ ابنُ سِيدةَ فأسبغَ على "المواشلِ" المعرفةَ؛ على الرّغم من أنه يَنقلُ كلامَ ابنِ دُرَيدٍ؛ إذ يَقولُ[١٠٦]:"والْمواشِلُ مَوَاضِعُ معْروفَةٌ من اليَمامَةِ، قال ابن دُرَيْدٍ ما أدْري ما حَقِيقَتُه". ثم تظهر عند الزمخشري (ت٤٦٧هـ) خِلوًا من تردّد ابن دريد، فيسجِّل في "المياه والأمكنة والجبال"[١٠٧]:" المواشل: مواضع معروفة من اليمامة". وتبعه البَكريّ(ت٤٨٧هـ) في "معجم ما استعجم"، وحقّق ضبطه[١٠٨]:" المَواشل بفتح أوله وبالشين معجمة على وزن

مفاعل مواضع مَعروفة تقرب من اليمامة". وذكر اللسان معرفتها[١٠٩]، أمّا الفيروز فذكر أنها مواضعُ، وانتزعَ منها وصف المعرفة[١١٠]، ثم أعادها الزَّبيدي في التاج كرَّة أخرى[١١١].

ولا نخلُص من هذا إلى شيءٍ، وهـل المواشـل، موضـعٌ، أم مواضـعُ، أو مكـانٌ يصلحُ للسُّكنى، أم هي أوديةٌ ومَسايلُ، فضلا عن تحديدِها من اليمامة؟ وجلّ المسـألة أنّ كلاًّ منهم ينقل عن الآخر، دون أنْ يبذلَ في سبيلِ ذلك شيئًا.

أمّا رَديفُها "المغاسلُ" التي ذكرَ ابن دُريدٍ أنها مواضـعُ معروفـة جـاءتْ في الشـعرِ الفصيحِ، فإذا تقصّينا هذا الكلامَ وجدنا ابنَ دُرَيـدٍ نفسَـه يقـولُ في مَـوطنٍ آخـرَ مِـن الجَمهَرة[١١٢]: " والمَغاسلُ: أوديةٌ قريبة من اليمامَةِ، واحدُها مَغْسَل، بفتح الميم. ثم يقولُ عمّا قليلٍ: والمَغاسلُ: مواضعُ معروفةٌ". وهذا سياقٌ يدل على أنهمـا مكانـانِ لا مكـانٌ واحدٌ. ولعلَ هذا أعقبَ الخلطَ عندَ ابنِ سيدةَ وغـيرِهِ؛ إذ يقـولُ:" والمغاسـلُ: مواضـعٌ معروفةٌ. وقيلَ: هي أوديةٌ قِبَل اليمامة، قال لبيد[١١٣]:

فقـد تَرتعـي سَـبْتًا وأهلـكِ حِـيرةً مَحـلَّ المُلـوك نُقْـدةً فالمَغاسِـلاَ

وقال ابن منظور[١١٤]:" والمَغاسلُ مواضع معروفة وقيل هي أَوْدِية قِبَـل اليمامـة ". وتبعه صاحب التاج[١١٥].

وأما ياقوت في "معجم البلـدان"، فـذكر أنهـا أوديـةٌ باليمامـةِ، وحقّـقَ ضـبطَها:" المُغاسِل بالضَمِّ وكسرِ السينِ المهملـة"، وهـذا مـا لم يَـذكرُه غـيرُه[١١٦]. ثـم لا يلبـثُ أنْ يقولُ[١١٧]:" المَغْسلُ بالفتحِ ثم السكونِ اسمُ المكانِ من غسَلَ يغسلُ فهـو مَغسِـل بكسـرِ السينِ، واحدةُ المغاسلِ، وهي أوديةٌ قريبةٌ من اليمامةِ"، وهذا اضطرابُ بيّنٌ، سواءً أكانا موضعًا أو موضعين. والفيروز يحزم أمره[١١٨]، فيقرِّر أنّ المَغاسلَ: أودِيَةٌ باليَمامَـةِ، دونَ زيادةٍ. وعلى الرغمِ ممّا قالَه ابنُ دريدٍ أنها جاءتْ في الشعرِ الفصيحِ، فلم أقعْ عليهـا- على كثرةِ البحثِ - عندَ غيرِ لَبيدٍ.

وليت شِعري، فلا المواشلَ عرفنا، ولا المغاسلَ تبيّنّا، وكلُّ ما حَشدَتْه تلك المعجماتُ، زادَتنا بهما جَهالة.

وهذه نماذجُ ثلاثةٌ، بيّنتَ ليسَ التّلبيسَ في مَسألةِ المَعروفِ والمُنكرِ وحَسْبُ، بل حاجَةَ كثيرٍ من معجماتِنا الشّديدةَ، إلى التحقيقِ، والوقوفِ على اللفظ الذي تتصدّى له، ولا نجاوز الحقيقة إذا قلنا: إنّ الكثرة الكاثرة ممّا وُسِمَ بالمعروف، يحتاج كلّ منه إلى بحثٍ مستقلّ لتتبّعه وتحديدِه، وبيانِ ما وقعَ فيه من الاضطِراب.

ثانيًا: المحدثونَ وتقنيةُ "المعروفِ":

لا بدَّ من الكلامِ على جهودِ المحدثينَ في موضوعِ هذا البحثِ حتّى تستديرَ دائرتُه، وتَستبينَ هذه التقنيةُ فيما آلتْ إليه تلك الجهود من هذا الميدانِ. ولقد استقصيتُ هذا النمطَ من تقنيةِ التعريفِ في عشرةٍ من المعجماتِ الحديثةِ، خمسةٍ منها، استقصيتُ ما فيها استقصاءً تامًّا، وأخرى تخيرتُ منها فصولاً، ومَوادَّ. أمّا التي استقصيتُها فهي: تُكملَة المعاجم العربيّة" لـ رينهارت دُوزي (ت١٨٨٣هـ)"[١١٩]، و"المعجم الوسيط"[١٢٠]، و"معجم اللغة العربيّة المعاصرة" لـ"أحمد مختار عمر (ت٢٠٠٣)[١٢١]، و"الرائد" لـ جبران مسعود[١٢٢]. و"معجم الغني" لـ"عبد الغني أبو العزم"[١٢٣]. أمّا الخمسة الأخرى: فـ"محيط المحيط" لبطرس البستانيّ (١٨٨٣م)[١٢٤]، و"أقرب الموارد" لسعيد الشرتوني (ت١٩١٢م)[١٢٥]، و"المنجد" للويس معلوف (ت١٩٤٦م)[١٢٦]، "ومتن اللغة"؛ لأحمد رضا (ت١٩٥٣هـ)[١٢٧]. إضافة إلى "المعجم الكبير" الصادر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة[١٢٨]. تلك عشرةٌ تخيرتها ممثلةً لرصدِ حالِ هذه التقنيةِ عندَ المحدثين.

أمّا تَكملةُ المعاجمِ العربيةِ فقد قاربَ ما جاءَ فيها من هذا النمطِ من التعريفِ(٤٠) مرةً. وتنوّع بين الصناعاتِ والمهن والنباتات والحيوانات؛ نحو[١٢٩]:"

حِمَّص: نوع من الحبوب معروف". وحَمَّة: طائر بري معروف[١٣٠]". و"شَبُّوط: ضـرب من الحوت معروف بالمشرق[١٣١]".

أمّا المعجمُ الوسيطُ فقد وَردَ منه (١٢)، نحو:" (سُريج) حـداد معـروف تنسـب إليه السيوف السريجية[١٣٢]. ومنها: (السوس) نبات عشـبي مخشوشـب طويـل الجـذور تسحق جذوره كما يصنع منها شراب معروف بعـرق السـوس[١٣٣]. ومثلـه: الفـيروز: حجر كريم غير شفاف معروف بلونه الأزرق[١٣٤].

أمّا "معجم اللغة العربية المعاصرة" فقد تكرّر فيه(٢٠) مرّة تقريبًا. على الرغم من أن المؤلف أعلن في مقدمته عن الأمور التي التزمها وراعاها في مصنّفه، ومنها[١٣٥]:" عدم استعمال التعريفات العامة، مثل: نوع من النبات، شجر، حيوان معروف.. إلخ.". غير أننا نجد فيه، على سبيل المثال: أبو قِرْدان: طائر أبيض طويل الساقين أسودهما، منقاره طويل... معروف بمصر"[١٣٦]. وهو يفترض على هـذا أن الطـائر المـذكور يعـيش علـى الساحل كالنوارس، وفي الصحراء كالصـقور، وفي الجبـال، وفي الواحـات،... ولـيس هذا دقيقًا. ومثله: بوريّ نوع مـن السَّـمك العظمـيّ، معـروف في مصـر[١٣٧]. ومثلـه: خبيص: نوع معمول من التمر والسمن، حلواء معروف. ومثلـه: عِرْقسُـوس شـراب معروف يصنع من مسحوق جذور السُّوس[١٣٨]. وكلّها ألفاظ عامّة، تفتقر إلى التحديد، والتخصيص، فضلاً عن سائر محدّداتها.

أمّا معجم "الرائد"، فقد تكرّرت فيه(١٤) مرة، نحو:" أزدَرخْت. شجر معروف بـ الزنزلخت، يتخذ للزينة بخاصة[١٣٩].، و" فستق: شجر لذيذ الثمر... ثمره معروف[١٤٠]". و" دَبكة: رقصة شعبية معروفة في بعض البلاد العربية[١٤١]".

أمّا "معجم الغني"[١٤٢] فقد استخدم الـ"معروف" أكثر من (٤٠) مـرة، وهـي بعامـة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأوسعُ تعريفُ للمدخل بما يشبهُ المثالَ، نحو: "إبَاءٌ:هُوَ مَعْـرُوفٌ بِإبَائِـهِ، مَعْرُوفٌ بعِزَّةِ نَفسِهِ"[١٤٣]. إمْعـانٌ:.."مَعْـروفٌ بِإمْعـانِ النَّظَـرِ"[١٤٤]. أَناقَـةٌ: "شَـابٌّ مَعْـروفٌ بِأَناقَتِهِ"[١٤٥]، وقد أكثر من هذا القسم.

والقسم الثاني الأقل، وهو كما رأينا في المعجمات السالفة وقد جـاء في أربعـة مداخل. نحو: "أَرْزٌ: شَجَرٌ حَرَجِيٌّ مِنْ فَصِيلَةِ الصَّنَوْبَرِيَّاتِ، مَعْرُوفٌ بِحَجْمِـهِ وَصَـلاَبَةِ خَشَبِهِ وَجَوْدَتِهِ"[١٤٦]. و"زِئْبَقٌ: عُنْصُرٌ فِضِّيٌّ سائِلٌ لامِعٌ،... وَهُوَ مَعْروفٌ مُنْذُ القِدَمِ"[١٤٧]. و" سَرْوٌ: شَجَرٌ مِنْ فَصِيلَةِ الصَّنَوْبَرِيَّاتِ، مَعْرُوفٌ مُنْذُ القِدَمِ"[١٤٨]. و"سُوسٌ نَباتٌ مِنْ فَصيلَةِ القَرْنِيَّاتِ،... وَيُصْنَعُ مِنْها شَرابٌ مَعْروفٌ بِعِرْقِ السُّوسِ.

ويمكننا أن نسجّلَ ههنا عدة دِلالاتٍ أو ملحوظـاتٍ دالّـة في اسـتخدامِ هـؤلاء المحدثينَ لهذه التقنية. وأبرزهـا أنهـا هبطَـت إلى درجـةِ القلّـة، وإن لم تختـفِ. والدالّـة الأخرى في طبيعةِ استخدامِها، فهي تاليةٌ، للتعريفِ، وليست مبهمةً منبتّة، كما وجدنا في المعجمات القديمة، وإن عابها العموم، وعدم التوضيح. والثالثة أنها ليست شـاملة كما رأينا في المعجمات السالفة، وإنما محصورة في أشياء مخصوصة، كالأطعمةِ والألبسةِ والمهنِ والحيواناتِ والنباتاتِ. ومن الملحوظات البارزةِ اختفاءُ علاقَة المعـروفِ باللغـةِ تمامًا.

أمّا الملحوظة التي تخصّ معجمَ "الغني" فهي أنّ معجمًا شهيرًا كهذا المعجم، كـان أولى به أن يتجنبَ ما استقلَّ به من نمط التعريـفِ:"معروف بإبائِـه، ومعـروف بأناقتِـه، ونحو ذلك من الأساليب القريبة من الترجمة، ويستخدم بدلاً منه عبـارةً محـدّدة، نحـو: ظاهرُ الإباءِ، وبيّنَ الأناقةِ، ولعلّها أدقُّ، وأصدقُ. إذ جَعْلُ المعرِفةِ لازِمَةً لهذه الصفاتِ يفتقرُ إلى تحديدِ وجه هذه المعرفةِ، إنْ وُجدَت، فليسَ كلّ أنيقٍ معروفًا بأناقته، وسائرُها مثل ذلك.

أمّا المعجمات الخمسةُ الأخرى فمستهلّها "مُحيط المحيط"، ولا يفـوت قارئُـه أنّـه يتنكّبُ استخدامَ "معروف" قَصدًا على ما يبدو، وقد وَقعتْ فيه على قلّـة، نحـو: وبُـرْج الأسد معروف"[١٤٩]، و"الجريّ: المعروف بالقرموط"[١٥٠]، و"الشـاه كـار: الشـجر المعـروف بالكستنة[١٥١]". على أن الكثرةَ باديةٌ في استخدامه الفعل المبني للمجهول يُعرَف"[١٥٢]. وهو لا يختلف عن معروف، فيما خلا الصيغة.

أمّا "أقربُ الموارِدِ" لـسعيد الشرتوني فقد حَفَلَ بهذا النمطِ من التعريفِ، ولعلّـه معَ أحمد رشيد رضا –كما سنرى– الفَريدانِ اللذانِ استخدما هـذه التقنيـةَ اسـتخدامَ القدماءِ. وعلى الرغم من أخْذِ الشرتوني على اللغويينَ تساهلَهم في مسـألةِ التعريـفِ الدَّوْري، وقُصورَهم في تعريفِ النبات والحيوان[١٥٣]، فقد قصَّر – في هذا الباب– بأكثر ممّا أخذ عليهم، ونبذَ مقاصدَه، وجاءَ بتعريفاتٍ هي إلى اللَّبس أقرب. ولا تخطئ عـين القارئ العشرات من "المعروف" دون تعليق. ولا نرى هذا النمط عند المحدثين مـا خـلا الشّرتوني، وأحمد رِضا، ومن ذلك قوله: "الأجـاص: شـجره معـروف"، و"الـبرص: داء معروف"، و"الثميلة موضع الفرش من الحائط، معروف عند عوام بلادنـا بـاليوك"، وإذا ضربنا صفحًا عن "الثميلة" و"اليوك"، فإننا لا ندري مقصوده بـ"عوام بلادنا" الـتي يكررهـا كثيرًا. و"صينين: عقير معروف"، و"والزَّلابيَة: حلواء معروفة"، ومثل هذا شائع ذائع عنده[١٥٤].

أما "مَتن اللغة" لـ "أحمد رشيد رضا" فلعلّه – كما ذُكـر– ينـافسُ "أقـربَ المـوارد" في كثرة ذكرِه لـ"المعروف"، وربما فاقَه. إذ أكثرَ من استخدامِه كثرةً لافتةً، وقد أحصيتُ لـه العشـراتِ منـه، نحـو: "أرزَن: الحـبّ المعـروف بالـذرة[١٥٥]"، و"الكَربـون المَعـروف بغـازِ الفَحْم"[١٥٦]، و"الرّصاص المَعروف بالمرداسنغ[١٥٧]" و"أقافيا: شجر برّي يُعرف بالأكاسـيا[١٥٨]" و"اليحمور: المعروف باسم الهيموجلوبين"[١٥٩].

وأمّا المنجِدُ فقد جاءت هذه التقنيةُ قليلةً فيه، نحو: الدُّوار: المعروف عند العامة بالدوخة"[١٦٠]. أرشيمندريت: صاحب رتبة كنسية معروفة[١٦١]، الزيتون: زراعته معروفة منذ أبعد العصور[١٦٢]، الشاويش: رتبة عسكرية معروفة[١٦٣]. على أنّ الكثرةَ عندَه هي في الفِعل المبنيّ للمجهول، نحو:"التّبغ: ما يُعرَف بالتّتن"[١٦٤]، و"الحَبَق: وتُعرَف بالريحان[١٦٥]"، و"الدوم: ويُعرف بشجر المقل[١٦٦]".

وأمّا معجم مجمع اللغة العربية في القاهرة "المعجم الكبير"، فقد تجنَّبَ الـ"معروف" تجنبًا بيّنًا، ومن المرّاتِ القلائلِ التي ذَكر فيها المعروفَ:"الأزاذ: معروفٌ في العراق باسم الزّهدي[١٦٧]"، و"الأسل: المعروف بمصر بالسّمار"[١٦٨]. و"بقلة الأنصار: من الخضراوات المعروفة"[١٦٩] ولكنه رضي بما دون ذلك من يُعرَف وعُرِف"[١٧٠].

وإذا وقفنا على السِّماتِ العامّةِ للمعجماتِ العربيّةِ الحديثةِ في استِخدامِ هذه التقنية، من خلال الطائفةِ التي تمّ اختيارُها، أمكننا أن نقولَ أنّ المعجميّينَ المحدثينَ يَتجنبونها بعامّة؛ لأنهم يسعَونَ إلى تلافي هذه التقنيةِ، التي تُشكّلُ هَنَةً بيّنةً في المعجماتِ التراثيّة، وإنْ وجدنا مُعجمَيْ "أقربِ الموارد"، و"ومَتن اللغةِ يُعيدانها جَدَعَة"، لكنّ هذا لا يُشكّلُ نمطًا سائِرًا. على أنّنا وجدناهم يَرتضونَ صِيغًا أخرى في الشّمول والعموميّةِ في هذه التقنيةِ، كالأفعالِ المبنيّة للمجهول.

وخلاصةُ القولِ أنّ المعجماتِ المحدَثة – ممّا قرأتُ– لم تبرَأ من هذه الهَنَةِ، ولعلّ من المؤكّدِ أنّ غيرَها من مُعجمات المحدثين، لم تَستبعدْ هذه التقنية أيضًا.

خاتمـة

وبعدُ، فقد وقفَ البحثُ على حَقِيقةِ تَقنِيَةٍ مِن تَقنِيـاتِ التّعريـفِ البـارِزةِ الـتي استَخدَمَها المعجَميّونَ العربُ، ألا وهي "وهو مَعروف"، وما يُفضي إليها من الأساليبِ. وقد بَيّن أنها تقنيةٌ إحاليّةٌ، تقومُ على مَرجعيّةِ المعرفَةِ والثّقافَـةِ. وَجلّـى وَجهَهـا تجليـةً تُقدِّمُ للباحثِ حَقيقةَ هذه التقنيةِ في طائفةٍ من أهمِّ المعجماتِ العَربيّةِ، بعيدًا من الظنّ، والـتّخمين، قائمـةً علـى الإحصـاءِ والتّحليـلِ. وانتهـى البحـثُ في هـذه الصـفحاتِ القَليلاتِ، بعدَ مَسحِ عَشراتِ الآلافِ مِن المداخلِ، وما يَتصلُ بها إلى رَصدِ اتجاهِ هـذه التّقنيةِ، كمًّا ونوعًا، وأوجهِ التّعبيرِ بها.

إنّ هذه التّقنِيةَ مِن التعريفِ تَقنِيةٌ إحاليّةٌ تَقـومُ في جُلِّهـا علـى اختـزالِ الزّمـانِ والمكانِ – فَضلاً عن البَشرِ – في شَريحةٍ واحِـدَةٍ. وهـي ومـا يُفضـي إليهـا هَنَـةٌ، مـن هَناتِ تَقنياتِ التّعريفِ، سَـواءً لـدى القـدماءِ أو المحـدثينَ، ويَنبغـي الـتّخلّصُ منهـا ونبذُها، وحَصرُها في أضـيقِ حُـدودِها، مـا لم تَسـتَندْ إلى محـدّداتها الرّئيسـةِ: الزّمـانِ، والمكانِ، والإنسانِ. فَضلاً عن المحدّداتِ الأخرى؛ كالجِنسِ والنوعِ، وسائرِ الموضّحاتِ، فالـ"معروفُ" وَصْفٌ لا يمكنُ أنْ يَكونَ مُنبَتًّا مـن سِـياقهِ المعـرفِيِّ القـائمِ علـى الأقـانِيمِ المذكُورةِ، وغَيرُ ذلِكَ ضَربٌ مِن الالتباسِ والتلبيسِ.

إنّ الأصـلَ فـيمن يَتصـدّى للتـأليفِ المعجَمـيِّ أنْ يَعمـدَ إلى خِدمـةِ القـارئ، وتَوضيحِ، كلِّ مَداخلِهِ، وما يَتصلُ بها. فإذا أخلَّ بها، وكانَ كـلُّ همِّـه جمـعَ الألفـاظِ، وإلقاءَها بلا رَويّةٍ ولا تمحيصٍ، فقد أخلَّ بأصلِ عملِه، والهدفِ الذي يَبتغيهِ قارئُه، أيًّا كانَ السببُ.

ولقد بيّنَ البحثُ عَشوائيّةَ استِخدامِ القُدماءِ لهذه التّقنيةِ مِن التعريفِ، لافتقارِها الأسسَ البيّنةَ لبنائِها. ولعلّ الإحصـاءاتِ كَشَـفت عـن هـذه العَشـوائيّةِ، وإنْ سَـجّل

البحثُ بعضَ المعالِمِ المنهَجيّةِ، التي وَسَمتْ جُهدَ المعجميّين، وسيّجتْ جُهودَهم في سَبيلِ استِخدامِ هذه التّقنِيَةِ.

ومن المسلّماتِ -كما ذُكِرَ- أنّ التعريفَ وَتقنياتِه لا يَستوعبُه مَنهجٌ واحدٌ، ولا محدِّداتٌ مِعياريَّةٌ مَعروفةٌ، إلا ما يَرتئِيه المعرِّفُ مِن توضيحٍ وكَشفٍ لما يَشرعُ في تَعريفِه، وله أنْ يَنتقيَ من أدواتِه ما يَنهضُ به إلى هذا الغَرضِ. ومِن هنا نجدُ النقدَ يَنجمُ من طبيعةِ بناءِ التعريفِ لا من فُقدانِ المنهجِ.

ويمكِنُنا أنْ نُلخِّصَ أبرزَ نتائجِ البحثِ في المحاورِ الآتيةِ:

- إنَّ المنهجَ الذي يُبنى عليه المُعجم له دَورٌ بيّنٌ في نِسبةِ وُرودِ هذه التّقنيةِ، كَثرةً وقلّةً.
- لقد سَجّلَ البَحثُ أعلى نِسَبِ هذهِ التّقنيةِ مِن التعريفِ عندَ المعجميينَ القدماءِ في العَلَمِ المَكانيِّ، ثم في أسماءِ النباتِ والحيَوان؛ ذلك أنّ هذه الأقانيمَ الثلاثةَ – مَظنَّةَ المعرِفَةِ- كانت تمثّلُ قيمةً مُعتَبرة في حياةِ العربيِّ.
- زيادة نِسبةِ ما وَسَمَه البحثُ بـ"المبهَماتِ" أو التّعريفاتِ المنبتَّةِ، في المعجمات المتقدِّمَةِ، لِثِقَةِ أصحابِها بالمخزونِ المعرفيِّ لدى القرّاءِ، إبّانَ تأليفِها.
- كَشفَ البحثُ عن ضَعفِ عَلاقةِ هذهِ التّقنيةِ بالمضامينِ اللّغويةِ؛ ذلكَ أنّ المعروفَ في أصلِ استخدامِه مَبنيٌّ على الدِّلالةِ.
- خلَص البحثُ إلى عِدَّة مَعالمَ مَنهجيةٍ يمكن أنْ تؤطِّرَ هذهِ التّقنيةَ مِن التعريفِ عندَ القدماءِ، نحوَ:

إساغَةِ المعرفَةِ القائِمَةِ على الشكِّ، وَنَقْلِ المعرفَةِ عن اللّيثِ وغَيرِه، والاقتصارِ على صيغَةِ الإفرادِ تَقريبًا، واستِنساخِ المعرفةِ وانتقالِها دونَ تَحقيقٍ، ونُدرةِ استِخدام محدّداتِ المعرفَةِ، واستِقلالِ مَضامينَ "غيرِ المعروفِ" المعادلِ الشّكليِّ للمَعروفِ.

أمّا فيما يتعلّقُ بجهودِ المُحدَثينَ، فقد خَلصَ البحثُ إلى النتائجِ الآتيةِ:

- قَلّةِ هذا النّمطِ من التّعريفِ، في مؤلّفاتهم بعامَّةٍ، فيما خلا ما رأينا عندَ الشّرتونيّ في "أقربِ الموارِدِ"، وأحمد رشيد رضا في "مَتن اللّغة".
- أنّ هذهِ التّقنيةَ في استِخدامِهم تأتي مُوضِّحةً، تالِيَةً للمَدخَلِ، لا مُنبّتّةً.
- أنها تنحصرُ عندهم في أبوابٍ مُعيّنةٍ.
- استخدامِ بَعضِهم للأفعالِ المبنيِّةِ للمجهولِ، بدلاً من العِبارَةِ المعهُودةِ.
- خَلصَ البحثُ بعامّة إلى أنّ أصلَ هذهِ الإشكاليّةِ - في كثيرٍ ممّا يُستَخدَمُ من هذه التّقنيةِ- هو تحديدُ القارئِ الذي يُكتَبُ له. وهي إشكاليّة تتبدّى جليَّةً في كلِّ المقدّماتِ، ومِن ثمّ يَنجُم منها الكثيرُ من الإشكاليّاتِ، وليسَ في هذهِ التّقنيةِ وَحدَها.

وبعدُ، لقد كَشَف البحثُ أنّ كلَّ المعجَماتِ -محلّ البحثِ- قديمَها وحديثَها وقعت في الإشكاليّةِ نفسِها، على اختلافٍ في التفصيلاتِ، كمًّا ومضمونًا. وهذا يؤكّدُ أنّ هذه الإشكاليةَ من تَقنيةِ التّعريفِ سارَت عبرَ هذا الزّمنِ، دُونَ أنْ تَتلاشى.

والبحثُ بَعْدَ دَعوتِهِ إلى نَبْذِ هذه التّقنيةِ -إلاّ في حُدودِها المُستبينَةِ- يَدعو إلى استثمارِ كُلِّ النّظرياتِ المعجَميّةِ الحدِيثَةِ، وما أفضَتْ إليه النظريّاتُ الدّلاليةُ واللّسانية في خِدمَةِ تَقنياتِ التّعريفِ، تلكَ التقنياتُ التي تَقبعُ على ثُغورِ كلِّ عَمَلٍ مُعجميٍّ، فتَصِمُهُ بالفَشَلِ، أو تَسِمُهُ بالنُّجْحِ وبُلوغِ الغَايَةِ.

الهوامش والتعليقات:

١- ينظر: المعتوق، أحمد، ٢٠.

٢- ينظر: الجيلالي، حلام، تقنيات التعريف في المعاجم المعاصرة، ٣٧، وما بعدها.

٣- ينظر: تفصيل هذه المفاهيم في المرجع السابق، وفي: الحمزاوي رشاد، المعجم العربي إشكاليات ومقاربات، ١٨٥، وما بعدها. و: العواضي حميد، المعاجم اللغوية المعاصرة، ٢٣٠. و: النصراوي، الحبيب، التعريف القاموسي، ١٠١، وما بعدها.

٤- ينظر: الجيلالي، ٥٠.

٥- محمود، زكي نجيب، المنطق الوضعي، ١/ ١٤٢.

٦- ينظر: المعاجم اللغوية المعاصرة، ١٨٣.

٧- ومن المؤلفات التي حاولت استدراك جوانب من هذا الخلل: الاستدراك على العين لابن دريد(ت٣٢١هـ)، و"كسر الناموس في نقد القاموس" لفخر الإسلام عبدالله الحسني الزبيدي (ت٩٧٣هـ)، وبهجة النفوس في المحاكمة بين الصحاح والقاموس لبدر الدين القرافي(ت١٠٠٨هـ). ينظر: الجيلالي، ٦٩.

٨- الجيلالي، ٦٩.

٩- نفسه، ٦٩-٧٣.

١٠- ينظر: تقنيات التعريف، ١١٦.

١١- ينظر: الفهري، عبد القادر الفاسي، المعجم العربي "نماذج تحليلية جديدة"، ٢٠.

١٢- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال.

١٣- ابن دريد، أبو بكر، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، ط١، ١٩٨٧م.

١٤- الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والنشر.

١٥- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصِّحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتـاب العربـي، مصر.

١٦- ابن سيدة، علي بن إسماعيل، المخصّص، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، بيروت.

١٧- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، أساس البلاغة، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

١٨- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

١٩- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

٢٠- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العـروس مـن جـواهر القـاموس، تحقيـق: عبـد الكـريم العزباوي، وزارة الإعلام، الكويت.

٢١- الجمهرة، المقدمة١/ :٤.

٢٢- نفسه، ١/ ٤.

٢٣- تنظر مقدمته.

٢٤- ومنه: الصنّ، والقفّ، واللخلخة، والقرقـور، والفأفـأة، والخـوخ، والبثـر، والسـيج، والـبرج، والـبردي، والبريـد، والـدرب، والأردبّ، والـدرب، والـدلب، وشـيب السـوط، والبصـل، والعُنّاب، والباقلاء، والتور، والزفت، والكتان، والسحج، والخُرج، والمجذاف، والجرز.

٢٥- والباقي: القِنب والقُنّب، الجيم والقاف (باب الجيم والفاء)، والسُّقم والسَّقم، والفهْم والفهَم، والمارد والمريد، الهودج والفودج، دفف وذفف، والبعْر والبعَر.

٢٦- و"مثع، "العسل"، و"الحمارس" و"ها بمعنى خذ" و"السروع"، جبر"، ويَسَنَ" و"الأزيم"، "تلآن"، "الوتر".

٢٧- الصحاح: (شيب).

٢٨- و" الكتان، و"الكسرة"، الجلّة، و"الدرّة".

٢٩- و"الفخ" و"نرجس"، و"الفرانق"، و"الياسمين".

٣٠- و"الأيارجة، والأسفاناخ، والفرند، والنرد، والفانيد، والببر، والجوز، ودروز الثوب، واللوزينج، والجاموس، والأجاص، والقيروطي، والجلبّان، والزئبق، والفستق، والقرطق، والكعك، والجرّة، البرنيّ".

٣١- و "الشيب"، و"حرّ سخت لخت" و"الحقة" و"الدرة".

٣٢- و "ضحك" و "تالآن"، و"أثابه واعطاه"، و"الصوان"، و"الضيطان والضيكان"، و"رهنته وأرهنته"

٣٣- ومنه:"الجرز، الجاروس، الجاموس، والنرجس، وسجستان، والمغناطيس، والخَزفي، والإبريق، والسرقين، والفلفل، والبمّ، والكتان.

٣٤- تاج العروس: (بود).

٣٥- نفسه: (بتن).

٣٦- نفسه: (جدف).

٣٧- نفسه: (نمي).

٣٨- نفسه: (سعد).

٣٩- نفسه: (كلب).

٤٠- العين: (عشر).

٤١- جمهرة اللغة: "سدد"

٤٢- نفسه: "ثرثر".

٤٣- نفسه: "عقو".

٤٤- نفسه:" بسل".

٤٥- نفسه: "قسم".

٤٦- لسان العرب:"غمد".

٤٧- نفسه: "بذر".

٤٨- ينظر على سبيل المثال أيضًا في "اللسان": "إراب" في مادة "أرب"، و"الخلصاء" في "خلـص". و"الـبروق" في "برق". و"دارة مأسل" في "أسل. و"الخنـدم" في "خنـدم". و"الـدوم" في "دوم". و"الشـبرم" في شـبرم". و"أود" في "أود"، و"ابنا عيان" في "عين". وينظر مثل ذلك في "القاموس المحيط": نحـو: "عـذراء" في "عـذر"، و"المحكـم": "غمدان" و"بذر" و"إراب"، و"ذات النهق"، و"أود". و"التاج": في "السلجم، و"برقة شماء"، "وقتائـدة"، "وعـاذ"، و"أود"، و"هجر"، و"القصيم"، و"عنيس"، و"قريم".

٤٩- والليث هو: الليث بن المظفر بن نصر على ما ذكر الأزهري، وهو على ما ذكـر الفيروزآبـادي ابن نصر ابن سيّار الخراساني، صاحبَ الخليل، وينسب إليه أخذه أصول الكتاب "العـين" عنـه، وكان عالمًا بالشعر، والغريب والنحو.. ينظـر: الفيروزآبـادي، محمـد بـن يعقـوب، البلغـة فـى تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، ٥٦. والسيوطي، جلال الدين، بغيـة الوعـاة، في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: مصطفى عطا، ٢/ ٢٧٥.

٥٠- تهذيب اللغة: "حسد".

٥١- كلّ منها في مادته.

٥٢- باستثناء أساس البلاغة، والصحاح، والقاموس المحيط.

٥٣- جمهرة اللغة: "دنن"

٥٤- نفسه: "برغ".

٥٥- تهذيب اللغة: "وحد".

٥٦- نفسه: "خوخ".

٥٧- اللسان: "عند".

٥٨- نفسه: "رسس".

٥٩- الجمهرة: "بقن".

٦٠- نفسه: "سقم".

٦١- تهذيب اللغة: توخ"والتاج"..

٦٢- التاج: "أجر"

٦٣- نفسه: "صون".

٦٤- العين: "بغل".

٦٥- الجمهرة: "رطي".

٦٦- نفسه: "بكن".

٦٧- اللسان: "عين".

٦٨- نفسه: "حصص".

٦٩- التاج: "نسر."

٧٠- التاج: "هثرم".

٧١- الصحاح: "حدث".

٧٢- اللسان: "حدث".

٧٣- التاج: "حدث".

٧٤- تهذيب اللغة(هذب).

٧٥- نفسه: (كظم)، وتاج العروس.

٧٦- نفسه: (كبا)، و(وكب) في اللسان، والتاج.

٧٧- تهذيب اللغة: (قل)، واللسان، والتاجك (قلل).

٧٨- ينظر على سبيل المثال: "تهذيب اللغة": النصيع(نصع)، اللخج (لخج)، الموق والماق(مأق). و"المحكم": الطلح"ح ط ن"، واق (ق أ و)، الغينة(غ ي ن). واللسان: أقرب قوارب(قرب)، بناء "فعلل" (جدح)، اسبكرت عينه(سبكر). والتاج: زاد زيدانً (شنأ)، يهب بالضم(هب)، الفلج(فلج)، تذكير الكف (كعف).

٧٩- المحكم، اللسان: حذف نون التثنية(خ ذ و)، المحكـم: يـا أيهـا الرجـلَ (الهمـزة واليـاء)، التـاج: كذبكَ الحجَّ (كذب)،

٨٠- ينظر: المحكم: الردف (ح د)، واللسان (حدد).

٨١- ينظر: المحكم: (ت ل ف). اللسان (فتل).

٨٢- ينظر: التاج زهرة في (زهر).

٨٣- ينظر: مقدمة "قواعد المطارحة في النحو"، إبن إياز البغدادي، تحقيق: علـي الحمـد، وياسـين أبـو الهيجاء، وشريف النجار، دار الأمل، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠م.

٨٤- البغدادي، قدامة ين جعفـر الكاتـب، جـواهر الألفـاظ، البغـدادي، تحقيـق محمـد محـي الـدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ٣٧٦.

٨٥- أساس البلاغة: (طرح).

٨٦- الصحاح: (طرح).

٨٧- الحميري، نشوان بن سعيد (ت٥٧٣هـ)شمس العلوم ودواء داء العـرب مـن الكلـوم، تحقيـق حسين العمري وآخرين، دار الفكـر المعاصـر، بـيروت، ودار الفكـر، دمشـق، ط١، ١٩٩٩م، ٧/ ٤١٠٢.

٨٨- اللسان: "طرح".

٨٩- القاموس المحيط: "طرح".

٩٠- تاج العروس: "طرح".

٩١- ينظر: الشرتوني، سعيد، ذيل أقرب الموارد، "طرح". ودوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربيـة، ترجمة محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢م: ٧/ ٣١. والمعجم الوسيط (طرح).

٩٢- العين: "خنن".

٩٣- الجمهرة: "خنن".

٩٤- الصحاح: "خنن".

٩٥- المحكم: "خ ن".

٩٦- المخصص، ١/ ١٠٥.

٩٧- لسان العرب: "خنن".

٩٨- القاموس: "خنن".

٩٩- تاج العروس: "خنن"

١٠٠- الصولي، أبو بكر، محمد بن يحيى، أدب الكتاب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المكتبة السلفية، ١٣٤١هـ، ٤٧.

١٠١- المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد، الأمالي، تحقيق: يحيى الجبوري، ١٩٩٥، ١٥٧.

١٠٢- الأصفهاني، أبو الفرج، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢، ٥/ ٩

١٠٣- المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين، التنبيه والإشراف، ١/ ١٤٤.

١٠٤- العسكري، أبو هلال، الأوائل، تحقيق: وليد قصاب وزميله، دار العلوم، الرياض، ط١، ١٩٨٠، ١/ ٢١٧.

١٠٥- المحيط في اللغة: "خنن"، والأزمنة والأمكنة: ١/ ٥٠٩.

١٠٦- المحكم: (وشل).

١٠٧- ينظر: الزمخشري، الأمكنة والمياه والجبال للزمخشري، تحقيق إبراهيم السامرائي، النجف: ١٩٦٨م، ٢٦١

١٠٨- البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣، ٤/ ١٢٧٦.

١٠٩- اللسان: "وشل".

١١٠- القاموس المحيط: "وشل".

١١١- تاج العروس: "وشل".

١١٢- الجمهرة: (س غ ل).

١١٣- وفي ديوانه: "فقدِ نرْتَعي سَبتاً ولسنا بجيرةٍ".

١١٤- لسان العرب: (غسل).

١١٥- تاج العروس: (غسل).

١١٦- الحموي، ياقوت، معجم البلدان: الميم والواو، ٥/ ٢١٩.

١١٧- نفسه.

١١٨- القاموس المحيط: (غسل).

١١٩- دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، تعليق محمد النعيمي، جمال الخياط، وزارة الإعـلام العراقية، ط١ ١٩٧٩-٢٠٠٠.

١٢٠- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول.

١٢١- عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.

١٢٢- مسعود، جبران، معجم "الرائد"، دار العلم للملايين، ط١، ٢٠٠٣م.

١٢٣- أبو العزم، معجم الغني.

١٢٤- البستاني، بطرس، محيط المحيط، اعتناء محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

١٢٥- الشرتوني، سعيد، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، منشورات آيات الله النجفي.

١٢٦- معلوف، لويس، المنجد في اللغة والأعلام.

١٢٧- رضا، أحمد رشيد، معجم متن اللغة، مكتبة الحياة، ١٩٦٠م.

١٢٨- المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م.

١٢٩- نفسه: (حمص).

١٣٠- نفسه: (حمة).

١٣١- نفسه: شبوط. وينظر الألفاظ الآتية، ومداخلها: جوز الزنم، أرجيقن، باهت، حمص، دبّ، سنجة، شبّين، قمقوم، قنطس، كعك، كمكام، منصورية، نيدا، هذيلتة...

١٣٢- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، تركيا، ١٩٨٩م (باب السين).

١٣٣- نفسه: باب السين.

١٣٤- نفسه: باب الفاء. وينظر: "الحدّة"، وحمار الزرد"، و"السيف"، و"الكيس"، "اللواء"و"المصطكا"و"الصاد"، و"المعايرة، و"النسر الطائر".

١٣٥- معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٠.

١٣٦- نفسه: (أبو).

١٣٧- نفسه: (بور).

١٣٨- نفسه: (عرقسوس). وينظر: محجل (حجل)، و"حمار الوحش"، و"خروع"، و" أخصائي، و"أبو فصادة"، و"مصطكا"، و"سبح"، و"كونغ فو" و"النسر الطائر.

١٣٩- معجم الرائد: (ازدرخت).

١٤٠- نفسه: (فستق).

١٤١- نفسه: دبكة". وينظر: ثعلب، دارة، رجرج، رسمان، زغلول، طبرخي، ملوخية.

١٤٢- أبو العزم، عبد الغني، معجم الغني.

١٤٣- معجم الغني: "أبي".

١٤٤- نفسه "معن".

١٤٥- نفسه: "أنق"، وينظر هذا النمط في المداخل الموالية على سبيل المثال: وجه، جهد، برز، دين، خفف، درب، سكن، سمت، سمع، شهر، صدر، ظهر...".

١٤٦- نفسه: "أرز".

١٤٧- نفسه: زئبق.

١٤٨- نفسه: "سرو".

١٤٩- محيط المحيط: (أسد).

١٥٠- نفسه: (جري).

١٥١- نفسه: (شاه كار)، وينظر: و(الإجاص)، و(الأرغنون)، و(الخروع)، و(والطبار).

١٥٢- ينظر على سبيل المثال: (البادروج)، و(الباذنجان)، و(البارسطون)، و(الببغا)، و(البرفير)، و(الباندوري)، و(البنديكستي)، و(البارود)، و(البناء).

١٥٣- أقرب الموارد، المقدمة، ٩.

١٥٤- ينظر على سبيل المثال: الأرز، والمنخر، والبصل، والبلقاء، والبنادوري، داء الثعلب، الثمانية، الصّبير، ضيّات، طبخة، العهد، النحاس، واليونان، والحبة السوداء، الحمر، خبز الغراب، الخدّ، الخرّوب، الخرشوف، الخروع، الربو، الرختم، الرخم، السطل، الشقدف، الشمس، شاه بلوط....

١٥٥- معجم متن اللغة: (أرز).

١٥٦- نفسه: أكر.

١٥٧- نفسه: (أكسيد).

١٥٨- نفسه: (أقافيا).

١٥٩- نفسه: (يحمور). وينظر: على سبيل المثال لا الحصر، على الموالاة:الأردبة، الرز، أكسيد الرصاص الأحمر، وأكسيد الزئبق، آكل النحل، البرّاءة، المبراة، البطيخ، الثور، البقيع، البنيت، الباري والبوري، الثرمومتر، الجري، الجمع، الختام، والخنزير، الدجاج، حبينة وأم حبين، الريال، سبرة، السمسم، سفرجل، السليجة، الإسماعيلية، الفنان، الكُرّ، الكمثرى، النعنع....

١٦٠- المنجد: (الدوخة).

١٦١- نفسه: (أرشيمندريت)

١٦٢- نفسه: (الزيتون).

١٦٣- نفسه: (الشاويش)، وينظر: (أرز)، و(دلب)، و(الدوار)، (الزهم)، و(السمنة)، و(السوقاء)، و(الموركس).

١٦٤- نفسه: (التبغ)،

١٦٥- نفسه: (الحبق).

١٦٦- نفسه: نفسه (دوم). وينظر على سبيل المثال: (أسطر الصين)، و(الزنبرك)، و(السرموجة)، و(السانية)، و(المسيعة)، و(الفيلجة)، و(تلابيب)، و(المعجمات)، و(اللولب).

١٦٧- المعجم الكبير: (الأزاذ).

١٦٨- نفسه: (الأسل).

١٦٩- نفسه: (بقلة). وينظر: (أبّة: مدينة).

١٧٠- نفسه: ينظر على سبيل المثال: (أبريم)، و(أترجّ)، و(آذان الشاة)، و(آذان الفأر)، و(آذان الجدي)، و(الأرناؤوط)، و(أشتوم)، و(ثاقبات الأذن).

المراجـــع

- الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والنشر.
- الأصفهاني، أبو الفرج، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢.
- ابن إياز البغدادي، قواعد المطارحة في النحو، تحقيق: الحمد، علي، وآخران، دار الأمل، إربد، الأردنّ، ط٢، ٢٠١٠م.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصِّحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر.
- البستاني، بطرس، محيط المحيط، اعتناء محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- البغدادي، قدامة بن جعفر الكاتب، جواهر الألفاظ، البغدادي، تحقيق محمد محي الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
- الجيلالي، حلام، تقنيات التعريف في المعاجم المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩م، دمشق.
- الحمزاوي رشاد، المعجم العربي إشكاليات ومقاربات، المؤسسة الوطنية للترجمة التحقيق والدراسات، بيت الحكمة، ط١، تونس.
- الحموي، ياقوت، معجم البلدان.
- الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء داء العرب من الكلوم، تحقيق حسين العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.
- دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢م.

- رضا، أحمد رشيد، معجم متن اللغة، مكتبة الحياة، ١٩٦٠م.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، وزارة الإعلام، الكويت.
- الزَّمَخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، أساس البلاغة، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- الأمكنة والمياه والجبال للزمخشري، تحقيق إبراهيم السامرائي، النجف: ١٩٦٨.
- ابن سيدة، علي بن إسماعيل، المخصّص، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، بيروت.
- والسيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- الشرتوني، سعيد، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، منشورات آيات الله النجفي.
- الشرتوني، سعيد، ذيل أقرب الموارد، مطبعة مُرْسلي اليسوعية، بيروت، ١٨٨٩م.
- الصُّولي، أبو بكر، محمد بن يحيى، أدب الكتاب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المكتبة السلفية، ١٣٤١هـ.
- العسكري، أبو هلال، الأوائل، تحقيق: وليد قصاب وزميله، دار العلوم، الرياض، ط١، ١٩٨٠م.
- عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.
- العواضي حميد، المعاجم اللغوية المعاصرة، مؤسسة العفيف الثقافية، ط١، ١٩٩٩م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال.
- الفهري، عبد القادر الفاسي، المعجم العربي"نماذج تحليلية جديدة"، دار توبقال، الدار البيضاء، ط٣، ١٩٩٣م.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ.

- محمود، زكي نجيب، المنطق الوضعي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤، ١٩٦٥م.
- المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد، الأمالي، تحقيق: يحيى الجبوري، ١٩٩٥م.
- مسعود، جبران، معجم "الرائد"، دار العلم للملايين، ط١، ٢٠٠٣م.
- المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين، التنبيه والإشراف.
- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، تركيا، ١٩٨٩م.
- المعتوق، أحمد، المعجم اللغوي، المجمع الثقافي، أبو ظبي.
- معلوف، لويس، المنجد في اللغة والأعلام.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- النصراوي، الحبيب، التعريف القاموسي، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٩م.
- ابن دريد، أبو بكر، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، ط١، ١٩٨٧م.
- المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م.